جامعة المنيا
كلية دار العلوم

تَشْوِيه التَارِيخ الأُمَــوِي

من خلال

بعض كتابات العرب والمستشرقين

(الجاحظ – الطبري – فون كريمر – فان فلوتن – نموذجاً)

٤١- ١٣٢هـ/ ٦٦١- ٧٤٩م

إعداد

دكتور/ أحمد توني عبد اللطيف

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

اتحاد المؤرخين العرب
بالقاهرة

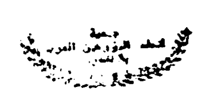
إفادة

يفيد اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة بأن السيد الدكتور/ أحمد رشوان عبد اللطيف الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم جامعة المنيا. قد ألف بحثاً بعنوان

" تشويه التاريخ الأموي من خلال بعض كتابات العرب والمستشرقين (الجاحظ - الطبري - فون كريمر - فان فلوتن عودجاً) "

٤١ - ١٢٢هـ / ٦٦١ - ٧٤٩م

وذلك في المؤتمر رقم ١٢ في الفترة من ١٧ - ١٢ نوفمبر عام ٢٠٠٥م
بعنوان " العالم العربي وتحديات العصر "
وتلك إفادة لمن يهمه الأمر



رئيس الاتحاد
سيد عبد الفتاح عاشور

مقدمة

مما لاشك فيه أن التاريخ الإسلامي على وجه العموم، والتاريخ الأُموي على وجه الخصوص، قد تعرض للتحامل، والنيل، والتجريح، ليس من جانب بعض المستشرقين فحسب – وهو أمر طبيعي – أمثال: وات، وماكسيم رودينسون، وماسينيون، وبلاك، وبيكر، وبلاسيوس، وبرنارد لويس، وجولدزيهر، ومونتجومري، وهورجرونجي، وفون كريمر، وفان فلوتن. وإنما من جانب بعض العرب أيضاً، أمثال: الجاحظ، واليعقوبي، وابن قتيبة، والطبري، وغيرهم، علماً بأن الدولة الإسلامية على الصعيد السياسي، في العصر الأُموي وصلت إلى أقصى اتساع لها، إذ امتد نفوذها من الصين شرقاً حتى فرنسا غرباً، فضلاً عما قدّم ذلك العصر من إسهامات حضارية، بنى عليها بعد ذلك العباسيون مجدهم الحضاري الكبير الذي مدّ شجرة الحضارة الإسلامية بالإكسير اللازم، فانعكس ذلك على الحضارة الإنسانية بصفة عامة.

ولسوء حظ الأمويين، وقوع فترة حكمهم (٤١- ١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م) بين عصرين مهمين من تاريخ الدولة الإسلامية، اتسم أولهما – وهو عصر الخلفاء الراشدين – (١١- ٤٠هـ/ ٦٣٢- ٦٦٠م)، بالرسوخ الديني، والعدلين السياسي، والاجتماعي، وتحقيق المساواة بين الناس، وحب إنكار الذات، واتسم الآخر – وهو عصر الخلفاء العباسيين- (١٣٢- ٦٥٦هـ/ ٧٤٩- ١٢٥٨م)، بالتطور الحضاري الذائع الصيت، والذي جعل الدولة الإسلامية قوة عالمية سياسية وحضارية يشار إليها بالبنان.

ولسوء طالع الأمويين أيضاً وقوع حدثين مهمين في أيامهم عكّرا صفو المسلمين، وتركا كثيراً من الآثار النفسية، التي لم يكن محوها سهلاً، وهما: حادثة كربلاء التي استُشهد فيها "الحسين بن عليّ بن أبي طالب "عام ٦١هـ/ ٦٨٠م، ووقعة الحَرَّة "عام ٦٣هـ/ ٦٨٢م التي تعرّضت فيها المدينة المنورة للعدوان والحصار، مما جعل هناك استياءً عاماً بين الناس، استغله الراغبون في النيل، والتندّر بالأمويين.

فإذا أضفنا إلى ذلك، أن معظم الكتابات التاريخية بدأت تقريباً تأخذ طريقها إلى النور في العصر العباسي، ولابد بالطبع من مسايرة السلطة الحاكمة، لتبين لنا مدى سوء طالع الأمويين فيما احتلوه من مساحات تاريخية تُلقي الضوء على إيجابياتهم، وسلبياتهم، لا سلبياتهم فحسب.

وانطلاقاً من هذا، ومحاولة للبحث عن حقيقة التاريخ الأُموي داخل متون الكتب ونصوصها، والرد على المتندّرين به، قمت بتسطير هذا البحث المتواضع **بعنوان "تشويه التاريخ الأُموي من خلال بعض كتابات العرب والمستشرقين" (الجاحظ – الطبري – فون كريمر – فان فلوتن – نموذجاً)** لأناقش، وأحلل من خلال نصوصه، حتى نصل إلى إقناع منطقي يُفضي إلى التعرف على حقيقة "التاريخ الأُموي"، بعيداً عن النيل، والتحامل، والتجريح.

وقد ألقيت ملخصاً لهذا البحث في ندوة (العالم العربي وتحدّيات العصر) التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب في القاهرة في الفترة من١٠- ١١شوال عام ١٤٢٦هـ/ ١٢- ١٣ نوفمبر عام ٢٠٠٥م. ثم قمت بعمل البحث الذي تضمن مدخلاً، ومحورين.

جـاء المدخـل؛ ليلقي الضوء على تحامل بعض المؤرخين العرب على "بني أمية" قبل الإسلام؛ كاليعقوبي، والطبري، وغيرهما، سواء كان ذلك عن قَصْدْ أو غير قَصْدْ .

أمـا المحـور الأول، فأفـردته لتوضيح رؤية بعض المؤرخين العرب للتاريخ الأُموي بعد الإسلام، وقد ركزت فيه على رسالة "الجاحظ"، التي كتبها في التندر بالأُمويين، وأسماها "النابتة"، وهي الرسالة الحادية عشرة، التي كتبها لأبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد، ونال فيها كثيراً من التاريخ الأُموي، فلم يكتف بما ذكره من سلبيات، بل تعدى ذلك إلى اتهام حكامهم بالعبث، والمجون، وفوق ذلك الكفر، وهو حُكم يحتاج إلى وقفة متأنية، لا يُكتفى فيه بالكلمات فحسب، ولكن نتساءل كيف يكون هذا هو حال الحكام كما أوضح الجاحظ، وقد وصلت الدولة الإسلامية إلى أقصى اتساع لها في عصرهم. ولقد ردّت النصوص كثيراً على وجهة نظره.

وأمـا المحـور الثانـي والأخـير، فجاء ليوضح رؤية كل من فون كريمر Von Kremer في كتابه "الحضارة الإسلامية" وفان فلوتن Van Vloten في كتابه "السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات" وبالطبع كانت رؤيتهما فيها تجوّز كبير، حتى "خدابخش" الذي قدّم لكتاب "فون كريمر" تحامل على بني أُمية حين اعتبر حركة "سبتمانيا" بفرنسا – التي تُنكر الاعتراف للقِس بالذنب وقد سايرها في ذلك البروتستانت – بأنها حركة إلحادية تأثرت بالأفكار الإسلامية ببلاد الأندلس، وقد اتضح تأثر الثاني بالأول، فأتى بالنصوص في غير موضعها، وقام بخلط الأوراق، وتجاهل الحقائق.

وقد حاولت قدر الجهد والطاقة تحري الدقة، والبحث عن حقيقة التاريخ الأُموي، من خلال مناقشة النصوص المتناثرة هنا وهناك في كتب التاريخ وغيرها، وإخضاعها للنقد التاريخي، مثل: رسالة الجاحظ، و"الإمامة والسياسة" لابن قتيبة، وتاريخ اليعقوبي، و"فتوح البلدان" للبلاذري، و"تاريخ الأمم والملوك" للطبري، وكتاب "الخراج" للقاضي أبي يوسف، و"مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي، وكتاب "الأموال" لابن سلام، و"البداية والنهاية" لابن كثير، و"تنقية أصول التاريخ الإسلامي" لحسين مؤنس، و"المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره" لرشاد خليل، وكتاب "النقود ودور الضرب في الإسلام في القرنين الأولين" لرحاحلة، وغير ذلك من الكتب التي أمدت البحث وأثرت جوانبه. وبعد،،

فإن كنت قد أصبت فمن عند الله، وإن كنت قد أخطأت فمن نفسي.

والله أسأل التوفيق والرشاد.

....

– مدخل –

تحامل بعض المؤرخين العرب على بني أمية قبل الإسلام:-

نظـــر بعـــض المؤرخيـــن العرب -قبل المستشرقين- إلى العلاقة بين التوأم (هشـــام، وعبد شمس) ابني "عبد مناف" منذ الولادة على أنها علاقة عدائية، إذ اتخذوا من طريقة فصلهما عقب الولادة دليلاً على حدوث صراع متوقع بين الأخوين، وإن لم يكن فبين أبنائهما، وإن لم يكن فبين بطنيهما فيما بعد، وأخذوا يُرجعون أي توتر عادي يحـــدث بينهما أو بين أبنائهما، أو أي توتر بسبب التنافس على الرياسة والسيادة إلى هذه الطريقة.

وعلـــى هـــذا الأســـاس نال بعض المؤرخين العرب من "بني عبد شمس" جدّ الأمويـيـــن قـــبل الإسلام، وقبل أن يمارس الأمويون حياتهم السياسية فيما بعد، فبدءوا ومعهم المستشرقين، قراءة تاريخ الماضي على ضوء الأحداث التالية، وهو ما يعرف بعكـــس الترتيب الزمني، ولا شك أنه من الأخطاء الشائعة في قراءة التاريخ وكتابته، وهذا التمهيد البسيط يتطلب منا إفساح المجال لما أورده كل من "اليعقوبي" و"الطبري" "وابن الأثير"، و "ابن كثير" في هذا الشأن لمزيد من الإيضاح.

ونســـتهل هذا التوضيح بـــ "اليعقوبي" مراعاة للترتيب الزمني إذ يقول: "ولد عـــبد مـــناف بن قصي هاشماً"، واسمه عمرو، وكان يقال لـــه عمرو العُلي، وسمى هاشماً لأنه كان يهشم الخبز، ويصب عليه المَرق واللحم في سنة شديدة نالت قريشاً(١). وبعـــد أن ذكـــر "اليعقوبـــي" اســـم ومعنى هاشم، يذكر أخوته فيقول هم "عبد شمس والمطلـــب، ونوفـــلاً، وأبـــا عمرو، وحنة وتماضر، وأم الأخشم، وأم سفيان، وهالة، وقلابـــة، وأمهـــم جميعاً إلا نوفلاً وأبا عمرو (عاتكة بنت مرة ابن هلال بن فالج بن ذكوان، وهي التي جرت حلف الأحابيش"(٢).

وبعـــد ذكره للأخوين "هاشم، وعبد شمس" يوضح "اليعقوبي" أنهما كانا توأما ملتصقا، خرج أحدهما قبل الآخر، فكان لابد من فصلهما قائلاً: إنَّ هاشماً وعبد شمس

كانا توأمين، فخرج هاشم، وتلاه عبد شمس وعقبه ملتصق بعقبه فقطع بينهما بموسى، فقيل: ليخرجن بين ولد هذين من التقاطع ما لم يكن بين أحد"[٣].

وهـنا نلمـح التطـير والتشاحن الذي افترضه الناس بين ولدي (هاشم وعبد شـمس) مسـتقبلاً فيما نقله "اليعقوبي" وهو كما أشرت قراءة للتاريخ بعكس الترتيب الزمني.

وفي هذا السياق يقول: "الطبري": "اسم هاشم عمرو، وإنما قيل لـه هاشم لأنه أول مـن هشـم (الـثريد) لقومـه بمكة، وأطعمه، وفي ذلك قال: "مطرود بن كعب الخزاعي" وقيل الزبعري.

عمـرو الـذي هشـم الـثريد لقومه ورجـال مكـة مسـنتون عجـاف

وهـو الـذي سـنَّ الرحـيل لقومـه رحلـة الشـتاء ورحلـة الأصـياف[٤]

وبعد توضيح الطبري لاسم (هاشم) ومعناه ودوره في رحلة الشتاء إلى الشام، والصـيف إلى اليمن والحبشة يتحدث عن أخيه "عبد شمس"، وبعض أخوته وسيادتهم بعـد أبـيهم قـائلاً: "كـان (هاشم وعبد شمس) أكبر ولد عبد مناف، والمطلب كان أصغرهم، أمهم عاتكة بنت مرة السُلمية، و"نوفل" أمه (واقدة)، فسادوا بعد أبيهم جميعاً، وكان يقال لهم المُجيّرون[٥] وسنوضح ذلك في موضعه.

وعـن توأمـتهما وطريقة فصلهما يقول (الطبري): "إن (عبد شمس وهاشماً) توأمـان، وإن أحدهما وُلد قبل صاحبة، وإصبعٌ لـه ملتصقة بجبهة صاحبه، فنحيت عـنها فسال دم، فتُطيّر من ذلك، فقيل تكون بينهما دماء"[٦]. ونرى (الطبري) هنا لم يحدد إذن من الأسبق في الولادة، وإن كان قد أشار آنفاً إلى (هاشم)، لكنه توقع التَطَيُّر وإسالة الدماء بين الأخوين، وهي كما أشرنا قراءة للتاريخ بعكس الترتيب الزمني.

وفي نفس السياق يقول (ابن الأثير): "اسم هاشم عمرو وكنيته أبو نضلة، وإنما قـيل لـه (هاشم) لأنه أول من هشم (الثريد) لقومه بمكة وأطعمه[٧]. فلم يخالف إذن "ابن الأثير" سابقه -الطبري- في توضيح معنى الاسم، ثم يذكر (ابن الأثير)- نقلاً عن الكلبـي- هاشماً وأخوته فيقول: "كان (هاشم) أكبر ولد (عبد مناف)، و(المطلب) كان

أصـــغرهم، وأمه (عاتكة بنت مرة السلمية) "ونوفل" أمه (واقدة)، وعبد شمس فسادوا كلهم[٨].

ويواصـــل "ابن الأثير" كلامه عن ولادة التوأم وفصلهما فيقول: "قيل إن (عبد شـــمس وهاشـــماً) توأمـــان، وإن أحدهما وُلد قبل الآخر، وإصبع لـــه ملتصقة بجهة صاحبه، فنحيت، فسال الدم، فقيل يكون بينهما دم، وهنا ينقل "ابن الأثير" عن الطبري دونما إضافة أو تغيير[٩].

وعلـــى غـــراره تقريباً وفي نفس الموضوع يقول "ابن كثير" كان هاشم اسمه عمـــرو، وإنمـــا سمى هاشماً لهشمه الثريد مع اللحم لقومه في سنى المحل (الجدب)، وحكي ابن جرير: إنه كان توأم أخيه (عبد شمس) وأن (هاشماً) خرج ورجله ملتصقة بـــرأس (عبد شمس)، فما تخلصت حتى سال بينهما دم، فقال الناس: بذلك يكون بين أولادهمـــا حروب، فكانت وقعة بني العباس، مع بني أمية بن عبد الشمس سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة[١٠].

وهكـــذا لاحظـــنا اختلاف المصادر التاريخية فيما روته عن طريقة التصاق التوأم "هاشم وعبد شمس" إصبع في جبهة، أم في رأس، أم التصاق العقبين...إلخ.

كما اختلفت المصادر في طريقة الفصل. بالموسي، أو بالسيف، أو بأي شيء آخـــر. بـــيد أنها اتفقت في التنبؤ بالصراعات والحروب، التي افترضوا وقوعها بين الأخوين، أو بين أبنائهما، أو بين بطونهما، حتى أرجع "ابن كثير" صراع (العباسيين) وبقايا (الأمويين) عام ثلاث وثلاثين ومائة للهجرة إلى هذه المسألة.

والجديـــر بالذكـــر أن هـــذه الرؤية قد جانبها الصواب، لأن فصل التوأم أمر ضـــروري وحـــيوي وطبيعي لحياتهما، وبالتالي كان من الضروري ألا يستتبع هذا الفصـــل كـــل هـــذه الضـــجة، وكل هذا التطير المفتعل من حيث افتراض الصراع والتشـــاحن والحروب المرتقبة بين الطرفين، ومما يؤكد وجهة نظرنا: أن بني هاشم، وبني عبد شمس، كانوا قبل الإسلام حليفين متعاونين على من سواهما، ولم يقع بينهما خـــلاف ولا نفرة إلا بعد الإسلام، إذ شاركا معاً في عقد الأحلاف التجارية التي تخدم

مصلحة قريش، وهي المعروفة بالإيلاف، فيذكر "اليعقوبي": أنَّ (هاشماً) كان أول من سنَّ لقومه رحلة الشتاء إلى الشام والصيف إلى الحبشة؛ لأن تجارة قريش كانت لا تخدم مكة، حتى أصبحوا في ضائقة، وعندئذٍ قام (هاشم بن عبد مناف) بالذهاب إلى الشام، وكان يذبح في كل يوم (شاة) ويدعو من حوله لأكلها، وكان هاشماً من أحسن الناس وأجملهم، فذكر ذلك الأمر لقيصر فأرسل في طلبه، وعندما رآه القيصر وسمع كلامه أُعجب به، وتواصل في مراسلته ولقائه.

فقال له هاشم: أيها الملك (الإمبراطور البيزنطي)، إن لي قوماً، وهم تجار العرب، فتكتب لهم كتاباً يُؤَمّنهم، ويُؤَمّن تجارتهم حتى باتوا بما يستطرف عن أدم الحجاز وثيابه، ففعل (قيصر) ذلك، وانصرف (هاشم) فكان كلما مرّ بحي من العرب أخذ من أشرافهم الإيلاف أن يأمنوا عندهم، وفي أراضيهم، فأخذوا الإيلاف من مكة والشام، وكان هاشم قد خرج ذات مرة إلى الشام بتجارة، فكان يمر بأشراف العرب، ويحمل لهم التجارات، ولا يلزمهم بمؤنة حتى صار إلى غزة، فوافته المنية هناك، فجزعت قريش لوفاته، وخشيت مغبة ذلك، وحينذاك قام "عبد شمس" أخية بالذهاب إلى النجاشي ملك الحبشة، مجدداً العهد السابق، ثم عاد فلم يلبث أن توفى بمكة ودفن بالحجون، وعلى رسله خرج أخيه (نوفل) إلى العراق، ونجح في أخذ العهد من "كسرى" ملك الفرس، ثم عاد، وتوفى بمكان يعرف باسم (سلمان) فقام بأمر مكة حينئذٍ أخوه المطلب ابن عبد مناف(١١).

ومن تلك الكلمات نرى مدى التعاون الوثيق لا الشجار والتشاحن، بين الأخوين "هاشم وعبد شمس" فلم يحدث ما افترضه البعض من الصراع، بل رأينا تعاوناً وتحملاً للمسئولية لصالح قريش، كما فعل "عبد شمس بن عبد مناف" عند اضطلاعه بتجديد العهد مع الحبشة.

ويزيد الطبري هذا التعاون إيضاحاً فيقول: إن ولد (عبد مناف) أخذوا العِصَم (العهود)، لقريش فانتشروا من الحرم، فأخذ لهم هاشم (حبلاً) من ملوك الشام (الروم وغسان) وأخذ لهم (عبد شمس) (حبلاً) من النجاشي الأكبر، فاختلفوا بذلك السبب إلى

أرض الحبشة، وأخذ لهم (نوفل) (حبلاً) من الأكاسرة، فاختلفوا إلى أرضُ العراق وفارس، وأخذ لهم (المطلب) (حبلاً) من ملوك حمْير، فاختلفوا إلى اليمن، فجبّر الله بهم قريشاً فسموا المجبّرين[١٢].

وبالطبع فهذا تعاون واضح بين أبناء (عبد مناف) هدفه مصلحة قريش، ويهمنا منه ذكرنا تعاون (عبد شمس بن عبد مناف) جدّ الأمويين، حتى تسقط تلك الدعاوى التي تتخذ من إسالة الدماء عنواناً لها وقد قال بها (اليعقوبي) و(الطبري) و(ابن الأثير) و(ابن كثير) وغيرهم، ومن العجيب أن الرد على ذلك جاء من خلال نصوصهم أيضاً.

فالنفرة التي وقعت بين (هاشم بن عبد مناف) وبين ابن أخيه (أمية بن عبد شمس) لم تكن لغرض خاص، أو طمعاً في شيء، وإنما كانت بهدف مصلحة قريش، فيقول (وهب بن عبد قصي) فيما نقله (الطبري) عن إطعام هاشم قومه الثريد وموقف أمية بن عبد شمس منه.

تحمّل هاشمٌ ما ضاقَ عنه	وأعيا أن يقُومَ به ابن بيض
أتاهُم بالغرائرِ مُتْأقات	من أرضِ الشامِ بالبُرِ النَقيض
فأوسع أهل مكّة من هشيم	وشابَ الخبز باللحم الغريض
فظلَ القومُ بين مكللات	من الشيزي وحائرها يفيض[١٣]

وهو ما يدل على الجهد الكبير الذي بذله (هاشم بن عبد مناف) في تحمله مشاق السفر إلى الشام، وإحضار ما يحتاجه أهل مكة من الخبز وهشمه مع اللحم وهو المعروف بالثريد، مما أثار حفيظة ابن أخيه (أمية بن عبد شمس) فحسده، ولم يحقد لكن هذا الحسد لم يرق إلى الحقد والتباغض؛ لأنه كان يرغب في أن ينال شرف خدمة قومه، فحاول أن يصنع ما صنع عمه خدمة لقومه، لكن الرياح لا تأتي دوماً بما تشتهي السُفُن، فلم يتمكن من ذلك، وعندئذٍ أظهر الناس شماتة في موقفه مما دفعه إلى التغير والغضب، ودعا عمه إلى المنافرة، إلا أن (هاشماً) كره ذلك، لسِنّه وقدره بين الناس، بيد أن قريشاً لم تتركه حتى نافرة على خمسين ناقة ينحرها ببطن مكة، والجلاء عنها عشر سنين فرضى أمية بذلك، وحكم بينهما الكاهن الخزاعي جدّ عمرو

بن الحمق ومنزلـــه بـــ (عفان)، فقضى الكاهن لصالح (هاشم) قائلاً: "والقمرُ الباهرُ، والكوكـــبُ الزاهرُ، والغمامُ الماطرْ، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، من مـــنجد وغائـــر. لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر"[١٤].فقضى بذلك لهاشم بالغلبة، فأخذ (هاشم) الإبل ونحرها، وأطعمها بينما غاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين، فهذه أول نفرة وعداوة وقعت بين الطرفين، وهنا نلاحظ أن العداوة لم تكن إلا مجرد حسد غير أن الـــناس أجَّجُوها حتى صارت نفرة، وعلى ذلك لم يكن العيب في هاشم،وابن أخيه "أمية بن عبد شمس" بقدر ما كان في الناس وتوجهاتهم من قريش.

وإن كان (ابن الأثير) قد أرجع الخلاف لا إلى "الثريد" بل إلى وراثة "هاشم" ما كـــان لأبيه "عبد مناف" بعد وفاته من السقاية، والرفادة (وهي ما كانت تخرجه قريش مـــن مالهـــا لشـــراء طعام لفقراء الحجيج) ، فحسده عندئذٍ ابن أخيـــه (أمية بن عبد شـــمس)[١٥]. فلـــم يكن الصراع إذن بسبب ملكية خاصة، بل كان لخدمة عامة تخص فقراء الحجيج.

ويذكر (الطبري) فيما نقله عن الحارث عن محمد بن سعد عن هشام بن محمد قوله:

"أخبرني رجل من بني كنانة يقال لـــه (ابن أبي صالح)، ورجل من أهل الرقة مولـــى لبني أسد، وكان عالماً قالا: تنافر عبد المطلب بن هاشم، وحرب بن أمية إلى النجاشي الحبشي، فأبى أن ينفر (يفضل أحدهما على الآخر) بينهما، فجعل بينها (نفيل بن عبد العزى)، فقال لحرب: يا أبا عمرو، أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة، وأعظم منك هامة، وأوسم منك وسامة، وأقل منك لامة، وأكثر منك ولداً، وأجزل منك صفداً، وأطول منك مزوداً (مدداً) فنفره عليه (أي نصره وفضله) وعندئذٍ قال "حرب بن أمية بـــن عبد شمس": "إن من انتكاسات الزمان أن جعلناك حكماً"[١٦]. وهو خلاف لا يرقى إلى درجة الصراع والقتال بين الأخوين (عبد المطلب)، وابن عمه (حرب)، ومما يؤيد ذلـــك أن حـــرب وجه انتقاده "لابن عبد العزى"، ولم يوجه كلامه "لعبد المطلب". فهل هـــذه المشـــاحنات البســـيطة ترقى إلى الحرب، حتى تُعَوّل عليها بعض المؤرخين،

ويـــرجعونها إلى عملية فصل التوأم (هاشم، وعبد شمس) ابني عبد مناف، اعْتقد أنه تحامل ظاهر على بني أمية قبل الإسلام يحتاج إلى رؤية ووقفة متأنية.

وممـــا يؤيـــد هذا الكلام أن "أم حبيبة بنت أبي سفيان" كانت أسبق الناس إلى الإســـلام، وتحملـــت في سبيله الأذى، وهاجرت مع زوجها "عبد الله بن جحش" إلى الحبشـــة، فلما توفى عنها زوجها تزوجها رسول الله -ﷺ- وأصبحت بذلك واحدة من أميـــات المؤمنين، وعلى هذا عُدّ (معاوية) من أخوال المؤمنين[١٧] أوردتها المصادر العربية.

تلـــك كلمـــات عـــن العلاقة بين (هاشم وعبد شمس) ابني (عبد مناف) قبيل الإسلام، فما الذي حدث إذن بعد الإسلام! هذا ما سنجيب عليه في الأسطر التالية.

المحور الأول

رؤية بعض المؤرخين والمفكرين العرب

لتاريخ بني أمية بعد الإسلام

يقــول الدكــتور حسين مؤنس: "**مراجعنا القديمة لا تنصف بني أمية، بل إن المؤلفيــن – فــي الغالــب– لا يرضون عنهم، ويرون أنهم ظلمة وجبابرة، ويذهب الــبعض منهم إلى اتهامهم بالكفر، حتى أولئك الذين يذكرون فتوحاتهم، وما أضافوه إلــى أرض الإســلام، وهــو ما يزيد على ما افتتحه الخلفاء الراشدون، حتى هؤلاء يشتدّون في الحكم عليهم، ولا يخطر ببالهم أن يضعوا الحسنات إلى جانب السيئات، والإيجابيات إلى جانب السلبيات، ثم يكون حكمهم بعد ذلك على هذا الأساس، ونحن في الحقيقة إذا ما وضعنا محاسن بني أمية أمام عيوبهم ازداد قدرهم في نظرنا، فهم – دون شك– أكبر الأمم الفاتحة في تاريخ الإسلام**"[١٨].

وهــنا يشــير الدكتور (حسين مؤنس) إلى تحامل المراجع التاريخية وغيرها علــى بني أمية، واتهامهم بالكفر رغم جهودهم الواضحة في الفتوح الإسلامية، والتي بلغت بالدولة الإسلامية أقصى اتساع لها، ويوجه الدكتور (حسين مؤنس) نظر الكتاب أن يضــعوا (بنــي أمية) في ميزان التاريخ من حيث: إيجابياتهم وسلبياتهم، حسناتهم وعيوبهم، حتى يكون الحكم بعيداً عن الهوى، وأقرب للحقيقة، وسنحاول فيما يلي من خــلال المصــادر ورؤيتنا الاقتراب من هذه الحقيقة فنقول: **ما إن أتى الإسلام ونزل الوحي على سيدنا محمد –ﷺ– حتى كان (معاوية بن أبي سفيان)، أحد كتاب الوحي، وإذا كــان لبنــي أمية موقف عدائي من الإسلام في أول أمره، فلم يكن هذا الموقف اســتمراراً لعــداوة قديمة، كما تصور البعض، وإنما كان (بنو عبد شمس) فيما عدا بعض الفترات لم يفهموا الإسلام بعد، شأنهم في ذلك شأن (مخزوم) ومن إليهم ممن ظلــوا طــوال الوقــت يخــافون من أن يكون الإسلام حيلة من بني هاشم لاستعادة الصــدارة السياسية التي افتقدوها أيام (أبي طالب) بعد وفاة (عبد المطلب) في نهاية العام الثامن من حادثة الفيل المشهورة**[١٩].

ولقد كانت العلاقات ودية وحسنة بين الطرفين **(بني هاشم، وبني عبد شمس)**، فيُذكر أن **(عثمان بن عفان)** رضي الله عنه، وهو واحد من عُمد بني أمية وأشرافها، كان من أوائل الناس إيماناً، وتصديقاً برسول الله -ﷺ- ومن أوائل الذين واسوا رسول الله -ﷺ- وأصحابه بأنفسهم وأموالهم، وهو ثالث ثلاثة أحبهم رسول الله -ﷺ- وكان راضياً عنهم حتى وفاته. وقد زوّجه اثنتين من بناته (رقية وأم كلثوم) لذلك سمي بذي النورين(٢٠).

ويذكر **(الطبري)** أن **(عثمان بن عفان)** كان أول من خرج من بني (أمية بن عبد شمس) مهاجراً إلى الحبشة، ومعه زوجته **(رقية)** ابنة رسول الله -ﷺ- وكان يرافقه في ذلك **(أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعه بن عبد شمس)**، وامرأته **(سهلة بنت سهيل بن عمرو)**، وكذلك كانت **(أم حبيبة بنت أبي سفيان)** إحدى المهاجرات إلى الحبشة مع زوجها **(عبيد الله بن جحش)**، فلما توفي عنها زوجها، تزوجها رسول الله -ﷺ- وأصبحت بذلك واحدة من أمهات المؤمنين، وعلى هذا الأساس عرف معاوية بن أبي سفيان بخال المؤمنين. ومما يذكر أن **(أبا سفيان بن حرب)** أسلم وحسن إسلامه، ومات على الإسلام في الوقت الذي كان فيه **(أبو لهب)**عم الرسول -ﷺ- أشد الناس عداوة له حتى مات على كفره(٢١).

فإذا أضفنا إلى ذلك أن معاوية بن أبي سفيان كان صحابياً كما أشرنا، (ومروان بن الحكم)، نشأ تابعياً، و(عبد الملك بن مروان) وُلد ونشأ إسلامياً، فضلاً عما قدمه بنو أمية من جهاد في ميادين الحرب والسياسة، والعلم والعبادة، لرأينا أن لهم في الإسلام دورٌ غير منكور.

ومما يذكر أن المحدثين رووا عن (معاوية)، وحفظ (عبد الملك) عن (عثمان)، وسمع من (أبي هريرة)، و(أبي سعيد الخدري)، و(جابر بن عبد الله)، وغيرهم من الصحابة، كما روى عن (عبد الملك)، (عروة بن الزبير)، و(ابن حيوة)، و(الزهري) و(يونس بن ميسرة)، و(إسماعيل بن عبيد الله)، وينسب إلى (نافع) قوله: لقد رأيت المدينة المنورة، وما بها شاب أشد تشميراً، ولا أفقه، ولا أنسك، ولا أقرأ

لكتاب الله من (عبد الملك بن مروان)، كما قال (أبو الزناد): كان فقهاء المدينة أربعة: سعيد بن المُسيب، وعُروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الملك بن مروان[٢٢].

فهاهم بنو "أمية بن عبد شمس" شاركوا في الهجرة إلى الحبشة، وشهدوا بدراً، وما إن تبوأ الأمويون حكم الدولة الإسلامية (٤١- ١٣٢هـ/ ٦٦١- ٧٤٩م) إلا وبذلوا كل جهدهم في إعلاء شأن المسلمين، والدفاع عن حياض الإسلام، وسهروا الليالي على حماية حدوده، وبذلوا جهودهم لفتح القسطنطينية (عاصمة الدولة البيزنطية)، وفي أيامهم بدأت النهضة العلمية والأدبية التي أتت ثمارها في العصر العباسي (١٣٢- ٦٥٦هـ/ ٧٤٩- ١٢٥٨م)، ومع ذلك فهناك من نال منهم، مُقدّماً سلبياتهم على إيجابياتهم، بل زاد في ذلك ووصفهم بالفجور، ورماهم بالكفر، ولنأخذ الجاحظ ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م مثالاً لذلك.

الجاحظ ورسالته (النابتة) في بني أمية:-

لا يُخامرنا شك في أن **(الجاحظ)** أبا عثمان عمرو بن بحر، عالم كبير، وناثر مبدع كان يكتب بأسلوب عربي بديع لا سجع فيه، وكان واسع الإطلاع، فهو لا يكاد يترك موضوعاً يهم الناس إلا كتب فيه، فكان بما لا يدع مجالاً للشك أستاذ عصره، وأستاذ الناثرين من بعده، وقد عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي في ظل العباسيين، وكان لابد له من تأييد النظام الحاكم، ومن هنا، ولكونه مولى شعوبي -دون أدنى شك- كتب في الأمويين رسالة أسماها **(النابتة)**، وهي الرسالة **(الحادية عشرة)** التي بعث بها إلى **(أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد)** في عهد الخليفة العباسي **المتوكل** (٢٣٢- ٢٤٧هـ/ ٨٤٦- ٨٦١م) ندّد فيها بالأمويين وانتقص من قدرهم، واعتبرهم نابتة لا أصل لهم حيث وصلوا إلى الحكم دون حق، ومن باب التورية لم يتعرض "**الجاحظ**" في رسالته من قريب أو بعيد لمسألة تشريع الخلافة، حتى ولو خطر بباله ذلك، ما كان له أن يذكره لحساسية هذا الموضوع بالنسبة للعباسيين الذين يعيش في كنفهم، وسنعرض لهذه الرسالة بشيء من

الـــنقد، لنتبيـــن مدى تحامل (الحاحظ) على بني أمية، وتنديده لهم دون أن يكلف نفسه بالبحث عن الحقيقة وهو ما كان حرّي به أن يفعل.

لقد بدأ **الجاحظ** رسالته قائلاً لأبي الوليد "**اعلم أرشد الله أمرك أن هذه الأمة قد صـــارت بعد إسلامها، والخروج من جاهليتها إلى طبقات متفاوتة، ومنازل مختلفة، فالطبقة الأولى (عصر النبي -ﷺ-، وأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضى الله عــنهما، وســت ســنوات من خلافة (عثمان بن عفان) رضى الله عنه، كانوا على التوحــيد الصــحيح، والإخـــلاص المخلــص مع الألفة واجتماع الكلمة على الكتاب والسنة**"[٢٣].

وهنا يبدأ **الجاحظ** رسالته بإظهار نوع من التقصير في عهد "**عثمان بن عفان**" رضـــي الله عـــنه (٢٣- ٣٥هـــ/ ٦٤٣- ٦٥٥م). وهـــو أموي، حيث شَطَر عهده شِـــطْرين، اتســـم أولهما بالتوحيد والإخلاص، واجتماع الكلمة؛ واتسم الآخر ببعض التقصير، علماً بأنه يعلم أن التقصير كان في مفهوم وإدراك الرعية، وبعض العناصر الأخـــرى، مـــثل (**عـــبد الله بن سبأ**)، وفكره، ودوره في تأجّج الخلاف.، وليس في شخص (عثمان بن عفان) الذي راح ضحية هذا الخلاف، وتلك الفتنة.

بعـــد ذلـــك يرسم **(الجاحظ)** صورة بشعة لاغتيال **(عثمان ابن عفان)** ما كان يجب عليه إيرادها، لو لم يكن هذا إلا من باب التجوّز والنيل من بني أمية فيصف ما قام به المعتدين على (عثمان) من "**خبطهم إياه بالسلاح، وبعج بطنه بالحراب، وفري أوداجه بالمشاقص، وشرخ هامته بالعمد مع كفه عن البسط، ونهيه عن الامتناع مع تعـــريفه لهـــم قبل ذلك من كم وجه يجوز قتل من شهد الشهادة وصلى القبلة وأكل الذبيحة**"[٢٤]. وإن كان ظاهر الكلام يعطي تأسياً للموقف، لكنه يحمل النقيض، وإلا ما كان أورده بهذه الصورة .

ثم يكمل (الجاحظ) الصورة البشعة عن معاملة أهل بيت الخليفة عثمان فيقول: "**مـــع ضـــرب نســـائه بحضـــرته، وإقحـــام الرجال على حرمه، مع اتقاء نائلة بنت الفرافصـــة عـــنه بـــيدها حتى أطنوا إصبعين من أصابعها، وقد كشفت عن قناعها،**

ورفعت عن ذيلها ليكون ذلك، ردعاً لهم، وكاسراً من عزمهم مع وطئهم في أضلاعه بعد موته، وإلقائهم على المزبلة جسده مجرداً بعد سحبه"[٢٥].

وبالطـبع تلك صورة سيئة مبالغ فيها، بعيدة عن المنطق، وتجرّؤ منه على حـرمة بيـت الخليفة (عثمان) لحظة قتله، ولعلنا نجد في "اليعقوبي" نصيراً لنا، مع كونـه شـيعي، حيـث لم يذكر من هذه الصورة شيئاً، بل قال: "وحصر ابن عديس الـبلوي عثمان في داره، فناشدهم الله، ثم نشد مفاتيح الخزائن، فأتوا بها إلى طلحة بن عبـيد الله، وعـثمان محصـور في داره، وكان أكثر من يؤلب عليه طلحة والزبير وعائشة، فكتب إلى معاوية يسأل تعجيل القدوم عليه، فتوجه إليه في اثني عشر ألفاً، ثم قـال: كونـوا بمكانكم في أوائل الشام، حتى أتي أمير المؤمنين لأعرف صحة أمره، فأتـي عثمان، فسأله عن أمرة فقال: قد قدمت لأعرف رأيك وأعود إليهم فأجيئك بهم، قال: لا والله، ولكنك أردت أن أُقتل فتقول: أنا وليّ الثأر. ارجع فجيئني بالناس فرجع فلم يعد إليه حتى قُتل"[٢٦].

وهكـذا لم يورد (اليعقوبي) شيئاً من الصورة البشعة التي أوردها الجاحظ، سوى القتل فقط بعيداً عن التمثيل والإهانات. ولكنه على صعيد آخر، أومأ إلى عدم ثقـة الخلـيفة عثمان في معاوية، وأن معاوية كان في انتظار حذر لما يحدث، حتى يتدرع بدور البطولة في المطالبة بثأر الخليفة عثمان، تمهيداً لنيل السلطة، مما يعد سلبية في بني أمية.

وأما "**ابن الأثير**" فنراه يصور موقف الهجوم على الخليفة "**عثمان**" من حيث ضـربه، وقطع أصابع زوجته، لكن لم يبالغ "**كالجاحظ**" وإن نقل على لسان "**سودان**" ألفاظاً ما كان يجب ذكرها[٢٧].

ونأتـي "لابـن كثـير" فنجده يورد روايات عديدة عن قتل الخليفة "عثمان" وموقـف السيدة نائلة، فيها بعض التجوّز، ما كان يجب أن تذكر بهذه الصورة، أو أقل شيء أن يقف منها موقف الناقد[٢٨].

يواصل "**الجاحظ**" كلامه في رسالته بعد مقتل الخليفة "**عثمان بن عفان**" فيشير إلـــى استمرار الفتن، والحروب كحرب "الجمل"، وموقعة "صفين"، وموقعة "النهروان" وقـــتل الخلـــيفة "علـــي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣٥- ٤٠هـــ/ ٦٥٥- ٦٦٠م) واعـــتزال الحســـن بـــن علـــي، حتى وصول "معاوية بن أبي سفيان" إلى الخلافـــة (٤١-٦٠هـــ/ ٦٦١- ٦٧٩م) وعندئذ قال: "**فعندما استوى معاوية على الملك واستبدّ على بقية الشورى، وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سمّوه عام الجماعة، وما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية، وغلبة، والعام الذي تحلّت فيه الإمامة مُلكاً كسروياً والخلافة غصباً، وقيصرياً، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق**[٢٩].

وبهذه الكلمات يُظهر "**الجاحظ**" تحامله على "**معاوية بن أبي سفيان**" من بداية حكمه، حيث اعتبر عام ٤١هـــ- ٦٦١م عام فرقة مع كونه عام جماعة، إذ أُعلنت فيه الخلافة الأموية، وتم أخذ البيعة لمعاوية، وإن كان هناك بعض المخالفين، إلا أن ذلك لا يعطـــيه الحـــق في اعتبار ذلك العام عام فُرقة، ويَظهر مدى تحامله حين قال: عام فُـــرقة، وقهر، وجبرية، وغلبة. فهل اختبر الجاحظ العام كله حتى يتأكد ويسجل مدى القهر والجبرية، وهل الحكم على الخلافة بأنها ملكاً كسروياً أو قيصرياً يمكن القطع به منذ اللحظة الأولى من سنوات الحكم، إنه حقاً تحامل لا مبرر له.

ولنترك للمصادر التاريخية مساحة من الرد على هذا الزعم وتفنيده، لكي نتأكد من أن عام ٤١هـــ كان عام جماعة أم فرقة على زعم الجاحظ.

يذكر "**ابن كثير**" نقلاً عن "**الطبري**" أنه في عام ٤١هـــ سلّم "**الحسن بن علي**" الأمـــر "**لمعاويـــة بن أبي سفيان**" ثم روى نقلا عن "**الزهري**" أنه قال: **لما بايع أهل العـــراق الحســـن بـــن علي طفق يشترط عليهم أنهم سامعون مطيعون سالمون من ســـالمت، محاربون من حاربت، فارتاب أهل العراق وقالوا: ما هذا بكم بصاحب، فما كان عن قريب حتى طعنوه فأشووه، فازداد لهم بغضاً، وازداد منهم ذعراً، فعند ذلك**

عـــرف تفرقهم واختلافهم عليه، وكتب إلى معاوية يسالمه ويراسله في الصلح بينه وبينه على ما يختاران[٣٠].

وهكذا أكد "الحسن بن على" على الفرقة قبل أن يلي "معاوية" الأمر، وأن أهل العـــراق هـــم الذين نالوا من الحسن مما اضطره إلى أن يبعث إلى معاوية في طلب الصلح على شروط يختارانها.

وفـــي هذا السياق يقول "**البخاري**" **في كتاب الصلح: حدّثنا عبد الله بن محمد، حدّثنا سفيان عن أبي موسى قال: سمعت** "**الحسن**" **يقول:** استقبل والله الحسن بن على معاويـــة بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تُولى حتى تقـــتل أقـــرانها، فقـــال له معاوية وكان والله خير الرجلين أي عمرو وإن قَتَل هؤلاءِ هؤلاءَ، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور الناس، من لي بنسائهم، من لي بضيعتهم، فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس: **عبد الرحمن بن سَمُرة، وعبد الله بن عامر بن كُرَيز ، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فأعرضا عليه، وقولا لـــه، واطلبا إليه فأتياه، فدخـــلا عليه فتكلما، وقالا لـــه، فطلبا إليه فقال لهما "الحسن بن على": إنا بنو عبد المطلـــب، قـــد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاشت في دمائها، قالا فإنه يعـــرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لي بهذا، قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قالا:نحن لك به، فصالحه**"[٣١].

وبـــتلك الكلمـــات أوضح "البخاري" أن معاوية يعمل على الحفاظ على نسيج الأمـــة، فقـــد أرســـل إلى الحسن بن على رجلين من "بني عبد شمس" يعرضان عليه الصلح ويجيبانه إلى ما يطلب، فاتفق الطرفان مما يدل على أن ذلك العام عام ائتلاف ووئام وجماعة وليس عام فرقة كما زعم الجاحظ.

ويذكـــر "**ابـــن الأثير**" أن "**الحسن بن على**" وصل إلى "**المدائن**" بالجيش الذي كـــان قد أُعدّ مع والده من قبل للقاء **(معاوية)** وقوامه حوالي أربعين ألفً من عسكره، وجعل على مقدمته "**قيس بن سعد بن عباده الأنصاري**" في اثني عشر ألفاً، فنادى مناد فـــي العســـكر ألا إن قيس بن سعد قُتل فانفروا، فنفروا بسرادق الحسن فنهبوا متاعه،

حتى نازعوه بساطاً، كان تحته، فازداد لهم بغضاً، ومنهم ذعراً فلما رأي الحسن تفرق الأمـــر عـــنه كتب إلى معاوية، وذكر شروطاً، وقال لـــه: إن أنت أعطيتني هذا فأنا ســـميع مطيع، وعليك أن تفي لي به. وقال لأخيه الحسين وعبد الله بن جعفر: إني قد راســـلت (معاويـــة) في الصلح، فقال لـــه (الحسين): أنشدك الله أن لا تصدق أحدوثة معاويـــة، وتكـــذب أحدوثة أبيك، فقال لـــه الحسن: اسكت أنا أعلم بالأمر منك، فلما انـــتهى كـــتاب "الحسن" إلى معاوية أمسكه، وكان قد أرسل **عبد الله بن عامر، وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس** إلى الحسن قبل وصول الكتاب(٣٢).

وهنا يصور (ابن الأثير) الخلاف بين (الحسن بن على) وبين أصحابه، حتى هجمـــوا علـــى سرادقه، وانتهبوه، فازداد لهم بغضاً، وعليهم حقداً، وخشية من ازدياد تفرقهم كتب إلى (معاوية) طالباً الصلح معه ذاكراً لـــه بعض الشروط، وقد أعلم أخيه "الحســـين" بذلك، وفي نفس الوقت وكدليل على توارد الخواطر أرسل لـــه (معاوية) رجلين في طلب الصلح.

ويواصـــل (ابن الأثير) كلامه، قائلاً: إن الرجلين كان معهما صحيفة بيضاء مختوم على أسفلها، وكتب إليه أن يشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها. ما شـــئت فهـــو لك، فلما أتت الصحيفة إلى الحسن اشترط أضعاف الشروط التي سأل (معاوية) قبل ذلك، وأمسكها عنده، فلما اصطلحا قام (الحسن) في أهل العراق، فقال: يا أهل العراق إنـــــه سخى بنسفي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي(٣٣).

وهـــنا نلاحظ أن (معاوية) أرسل إلى (الحسن بن على) صحيفة بيضاء ليكتب فيها ما يرغب من الشروط، فهل هذا عام فرقة أم محاولة جادة من (معاوية) لاحتواء الموقـــف، وقـــد انتهى الموقف بالصلح بين (معاوية) و(الحسن) فهذا بالطبع يعد وئام واتفاق.

لذلـــك قال (ابن الأثير): ولما اصطلحا وبايع (الحسن) (معاوية) دخل معاوية الكوفـــة، وبايعـــه الـــناس، وكتب (الحسن) إلى (قيس بن سعد) أن يدخل في طاعة

(معاويـــة)، وقد جرى الصلح بين (معاوية) و(قيس)، فأرسل لـــه (معاوية) بسجل، وخـــتم علـــى أســـفله وقـــال لـــــه: اكتب في هذا ما شئت فهو لك، فقال (عمرو) لـــ (معاوية): لا تعطيه هذا وقاتله فقال معاوية: على رسلك فإنا لا نخلص إلى قتلهم حتى تقتلوا أعدادهم من أهل الشام فما خير العيش بعد ذلك! فإني والله لا أقاتله أبداً حتى لا أجد من قتاله بُداً[٣٤].

وعلـــى ذلك نرى معاوية لا يكتف بصلح "الحسن بن على" لما لـــه من أهمية سياســـية، وإنمـــا يصـــالح "قـــيس بن سعد أيضاً على طريقة (الحسن)، وبالرغم من اعـــتراض "عمـــرو بن العاص" على الصلح، إلا أن (معاوية) واصل الصلح حتى لا تتعرض قواته بالشام إلى الصراع مع رجال "قيس بن سعد" في الوقت الذي يسعى فيه معاوية إلى التوحيد لا إلى الافتراق.

ولقد أثمر هذا الاتجاه من (معاوية) فيقول "ابن الأثير": "**فلما بعث إليه معاوية ذلـــك الســـجلَ اشـــترط قـــيس لـــه وشيعة عليّ الأمان على ما أصابوا من الدماء والأمـــوال، ولم يسأل في سجله ذلك مالاً، وأعطاه معاوية ما سأل، ودخل قيس ومن في طاعته، وكانوا يَعُدّون دهاة الناس حين ثارت الفتنة خمسة يقال إنهم ذوو رأس العـــرب ومكيدتهم؛ معاوية، وعمرو، والمغيرة بن شعبة، وقيس بن سعد، وعبد الله بـــن بديل الخزاعي، وكان قيس، وابن بديل مع عليّ، وكان المغيرة معتزلاً بالطائف، ولمـــا اســـتقر الأمر لمعاوية دخل عليه سعد بن أبي وقاص فقال: "السلام عليك أيها الملك"، فضحك معاوية وقال: "ما كان عليك يا أبا إسحاق لو قلت: يا أمير المؤمنين؟ فقال: أتقولها جذلان ضاحكاً؟ والله ما أحب أني وليتها بما وليتها به**[٣٥].

وهكـــذا أشار ابن الأثير إلى دخول "قيس بن سعد" في طاعة معاوية، وإجابة معاويـــة إلـــى ما طلب، وبعد استقرار الأمر لمعاوية دخل عليه "سعد بن أبي وقاص" مخاطباً إياه بالملك فقال له معاوية، ولما لا تقول يا أمير المؤمنين.

وبالـــرغم مـــن هـــذه المصالحة بين (معاوية) وكل من (الحسن بن على)، و(قـــيس بن سعد)، دون إراقة دماء، والمبايعة لمعاوية بما يؤكد أن عام ٤١هـــ/ عام

جماعـــة وائـــتلاف دون فرقة، إلا أن (الجاحظ) يتحامل على (معاوية) فيقولُ: "ثم ما زالـــت معاصيه من جنس ما حكينا، وعلى منازل ما رتبنا حتى ردّ قضية رسول الله -ﷺ- رداً مكشـــوفاً، وجحد حُكمه جحداً ظاهراً في ولد الفراش، وما يجب للعاهر مع إجمـــاع الأمة أن (سُمية) لم تكن لأبي سفيان فراشاً وأنه إنما كان بها عاهراً، فخرج بذلك من حكم الفجّار إلى الحكم الكفّار[٣٦].

ثـــم يقول: وسواء في باب ما يستحق من الإكفار جحد الكتاب ورد السنة إذ كانـــت الســـنة في شهرة فهذه أول كفرة كانت في الأمة، ثم لم تكن إلا فيمن يدّعي إمامتها، والخلافة عليها، على أن كثيراً من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره.

وقـــد أربـــت عليهم نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا فقالت: لا تسبوه فإن لـــه صـــحبه، وســـب معاوية بدعة ومن يبغضه فقد خالف السنة، فزعمت أن من السنة ترك البراءة ممن جحد السنة"[٣٧].

وهـــنا نلاحـــظ أن "الجاحظ" لم يكتف بالنيل من عام ٤١هـــ الذي ارتقى فيه (معاويـــة) إلـــى الحكـــم، وجعله عام فرقة، بل رمى (معاوية) بالكفر واعتبره مدّعي الإمامـــة والخلافـــة، وزاد فـــي ذلك ورمى كثيراً من أهل ذلك العصر لعدم تكفيرهم (معاويـــة)، ثم يعتبر (الجاحظ) بني أمية والمتعصبين لهم (بالنابتة)، فاعتبرهم طارئة على المجتمع الإسلامي فرضوا عليه أنفسهم دون وجه حق.

ويستمر (الجاحظ) في نيله من بني أمية فاعتبر بيعة "معاوية" لابنه "يزيد" من بعـــده سيراً على غرار الحكم الفارسي الكسروي، أو الروماني القيصري، علماً بنفي (معاويـــة) صـــفة الملـــك عنه كما أشرنا، وربما حمل (معاوية) على ذلك خشيته من افـــتراق الأمـــة، **وفي ذلك يقول ابن خلدون: "وكذلك عهد معاوية إلى يزيد خوفاً من افتراق الكلمة بما كانت بنو أمية لم يرضوا تسليم الأمر إلى من سواهم، فلو قد عهد إلـــى غيره، اختلفوا عليه، مع أن ظنهم كان به صالحاً، ولا يرتاب أحد في ذلك ولا يظن بمعاوية غيره فلم يكن ليعهد إليه وهو يعتقد ما يدعي عليه من الفسق حاشا لله معاويـــة مـــن ذلـــك، وكذلك كان مروان بن الحكم وابنه، وإن كانوا ملوكاً، لم يكن**

مذهـــبهم فـــي الملـــك مذهب أهل البطالة والبغي، إنما كانوا متحرين لمقاصد الحق جهدهـــم إلا في ضرورة تحملهم على بعضها مثل خشية افتراق الكلمة التي هي أهم لديهم من كل مقصد.

يشـــهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتداء، وما علم السلف من أحوالهم، ومقاصدهم فقد احتج (مالك) في (الموطأ) بعمل (عبد الملك)، وأما (مروان) فكان من الطـــبقة الأولـــى من التابعين، وعدالتهم معروفة، ثم تدرّج الأمر في ولد (عبد الملك) وكانوا من الدين بالمكان الذي كانوا عليه وتوسطهم (عمر بن عبد العزيز)، فنزع إلى طـــريقة الخلفـــاء والصـــحابة، ولم يهمل، ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في أغراضـــهم الدنـــيوية ومقاصـــدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحري القصد فيها، واعتماد الحق في مذاهبها"(٣٨).

وهـــنا يوضح ابن خلدون أن (معاوية) خشي افتراق الأمة فعهد بالحكم من بعـــده لولده (يزيد)، ولم يكن (معاوية) ليعهد إليه لو كان متأكداً مما يدعي عليه من الفسق، وعزا (ابن خلدون) ذلك الأمر أيضاً (لمروان بن الحكم) في ولده عبد الملك. ثم يقول (ابن خلدون) وحتى لو كانوا ملوكاً، فإن مذهبهم لم يكن مذهب أهل البغي، وإنما كانوا يتحرّون الحق قدر جهدهم، حتى وإن استخدموا القوة فكان ذلك لضرورة مـــا، إلى أن جاء (عمر بن عبد العزيز) الذي حاول التماس طريق الخلفاء الراشدين والصحابة.

ويُعَدّد (الجاحظ) سلبيات بني أمية في عهد "يزيد بن معاوية" فيقول: "ثم الذي كان من يزيد ابنه، ومن عماله وأهل نصرته، ثم غزو مكة، ورمى الكعبة، واستباحة المديـــنة وقتل الحسين -رضى الله عنه- في أكثر أهل بيته مصابيح الظلام، وأوتاد الإســـلام، بعد الذي أعطى من نفسه من تفريق أتباعه والرجوع إلى داره وحرمه أو الذهاب في الأرض حتى لا يُحسّ به أو المقام حيث أمر به فأبوا إلا قتله، والنزول على حكمـــهم"(٣٩).

وهنا يشير **الجاحظ** إلى ما حدث في عهد "**يزيد بن معاوية**" من حيثُ الهجوم علــى مكـــة، واســتباحة حرمة المدينة، وقتل الحسين ثم يشتدّ -**الجاحظ**- في حكمه ويقول: **وسواء قتل نفسه بيده أو أسلمها إلى عدوه، وخيَّر فيه من لا يبرد غليله إلا بشــرب دمـــه، أفحسبوا قتله ليس بكفر! وإباحة المدينة وهتك الحرمة ليس بحجة؟ كيف يقولون في رمي الكعبة وهدم البيت الحرام قبلة المسلمين؟ فإن قلتم: ليس ذلك أرادوا، بــل إنمـــا أرادوا المتحرز به، والمتحصن بحيطانه، أفما كان من حق البيت وحريمه أن يحصروه فيه إلى أن يُعطي بيده وأيّ شيء بقى من رجل قد أخذت عليه الأرض إلا موضع قدمه**"(٤٠).

وهـــنا يتساءل "الجاحظ" مع نفسه في مسألة قتل الحسين، سواء كان القتل بـــيده، أو أســـلم نفسه لغيره، وخيّر من لا يرحم، فإذا كان القتل ليس بكفر، وإباحة المديـــنة والحـــرم ليس بحجّة، فما القول في رمي الكعبة، وهدم البيت الحرام قبلة المسلمين، حتى لو كان ذلك ليس بقصد الهدم، وإنما رغبة في ملاحقة من يتحصنون به. أي تأكيد على جرمهم بما فعلوه.

ثـــم ينـــتقل "الجاحظ" إلى مسألة خطيرة وهي التمثيل بجسد الحسين فيقول: **وأحســـب مـــا رووا علـــيه مـــن الأشـــعار التي قولها شرك والتمثيل بها كفر شيئاً مصنوعاً، كيف يصنع بنقر القضيب بين ثنيتي الحسين، وحمل بنات رسول الله-ﷺ- حواسر على الأقتاب العارية، والإبل الصعاب والكشف عن عورة على بن الحسين... وكيف تقولون في قول عبد الله بن زياد لأخوته وخاصته: دعوني أقتله فإنه بقية هذا النسل فأحسم به هذا القرن، وأميت به هذا الداء، وأقطع به هذه المادة، خبرونا على ما تدلّ هذه القسوة، وهذه الغلظة بعد أن شفوا أنفسهم بقتلهم، ونالوا ما أحبوا فيهم، أتـــدلّ علـــى نصـــب وسوء رأي وحقد وبغضاء ونفاق، وعلى يقين مدخول وإيمان ممـــزوج، أم تدل على الإخلاص وعلى حب النبي -ﷺ- والحفاظ لـــه، وعلى براءة السَّـــاحة وصـــحة السريرة فإن كان على ما وصفنا لا يعدو الفسق والضلال. وذلك أدنـــى منازلـــه فالفاسق ملعون، وزعمت نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا أن سب ولاة**

السوء فتنة، ولعن الجورة بدعة وإن كانوا يأخذون السَمِيَ بالسمي، والولي بالولي، والقريـــب بالقريـــب، وأخافوا الأولياء، وآمنوا الأعداء، وحكموا بالشفاعة والهوى وإظهار القدرة والتهاون بالأمة والقمع للرعية وأنهم في غير مداراه ولا تقيه، وإن عـــدا ذلـــك إلـــى الكفر وجاوز الضلال إلى الحجر، فذلك أضلّ لمن كف عن شتمهم والبراءة منهم(٤١).

وهنا يتساءل "الجاحظ" عن سبب قسوة حكام بني أمية، وهل هي نابعة من حقد وبغضاء وسوء رأي ونفاق وكفر، أم من محبة رسول الله -ﷺ- والإخلاص لـــه، فإن كانـــت كما وصفنا فهي الفسق والضلال، والفاسق ملعون، وقد زعمت نابتة عصرنا: أن ســـب ولاة السوء، ولعن الجور بدعة، وإذا كان حكام بنو أمية قد أخافوا الأولياء، وآمنوا الأعداء، وحكموا بالهوى دون تقية أو مداراه، فهو كفر ومن لم يلعنهم ويكفرهم يكون مثلهم، ثم يزداد في قسوته قائلاً:

"علـــى أنه ليس من استحق اسم الكفر بالقتل كمن استحقه برد السنة، وهدم الكعـــبة، ولـــيس من استحق الكفر بالتشبيه كمن استحقه بالتجويز، والنابتة في هذا الوجه أكفر من يزيد وأبيه وابن زياد وأبيه، ولو ثبت أيضاً على يزيد أنه تمثل بقول ابن الزبعري (عبد الله بن الزبعري بن قيس) وكان يهجو المسلمين قبل إسلامه:

ليـــت أشـــياخي بـــبدر شـــهدوا ... جـــزع الخـــزرج مـــن وقـــع الأســـل

لاســـتطاروا واســـتهلوا فـــرحاً ... ثـــم قـــالوا: يـــا يـــزيد لا تســـل

قـــد قتلـــنا الغُـــرّ مـــن ســـادتهم ... وعدلـــنا مـــيل بـــدر فاعـــتدل

لكـــان تجويـــز النابتي لربه وتشبيهه بخلقه أعظم من ذلك وأفظع، على أنهم مجمعـــون علـــى أنه ملعون من قتل مؤمناً متعمداً أو متأولاً، فإذا كان القاتل سلطاناً جائـــراً أو أمـــيراً عاصـــياً لم يستحلوا سَبّه ولا خَلعه ولا نَفْيه ولا عَيْبَه، وإن أخاف الضعفاء وعطل الحدود والثغور وشرب الخمور وأظهر الفجور(٤٢).

وهـــي كلمـــات يتهم فيها الجاحظ حكام بني أمية بالفجور والكفر، ويدعوا من خلالهـــا الرعـــية إلـــى الـــتمرد والثورة عليهم، علماً بأن "**ابن الأثير**" قال على لسان

"معاويـــة" عند وفاته "أنه لما مرض المرض الذي مات فيه دعا ابنه "يزيد" **فقال: يا بني إني قد كفيتك الشدّ والترحال، ووطأت لك الأمور، وذللت لك الأعداء، وجمعت لك مـــالم يجمعه أحد، فانظر أهل الحجاز فإنهم أصلك، وأكرم من قدم منهم، وتعاهد من غاب، وانظر أهل العراق فإن سألوك أن يعتزل عنهم كلّ يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل أيسر من أن يُشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك، وعيبـــتك فإن رابك من عدوك شيء فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فأردد أهل الشام إلى بلادهـــم". وإني لست أخاف عليك أن ينازعك في هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش: الحســـن بـــن على، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن ابن أبي بكـــر، فأمـــا ابن عمر فإنه رجل قد وقذته العبادة فإذا لم يبق أحد غيره بايعك، وأما الحســـين بن على فهو رجل خفيف ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه، فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه فإن لـــه رحما ماسة، وحقاً عظيماً، وقرابة من محمد -ﷺ- وأمـــا أبـــن أبي بكر فإن رأي أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله، وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب فإن أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير"[٤٣].**

وهكذا نرى من تلك الكلمات توصية معاوية لابنه (يزيد) بالتعامل الحسن ولين الجانـــب مـــع (الحسين بن على)، رداً على نزعة الحقد التي تشدّق بها الجاحظ، وإن عاب هذا النص ذكر "عبد الرحمن بن أبي بكر" علماً بأن (عبد الرحمن) كان قد توفى قبل معاوية، وربما جاء اسمه من باب الذكر فقط.

ويذكـــر "ابـــن الأثير" أن يزيد بن معاوية ما إن دخل عليه "زحر بن قيس" أو "شـــمر" بخـــبر مقتل الحسين ومعه رأسه حتى دمعت عيناه، وقال: كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه، فيرحم الله الحسين".

ويضـــيف"ابن الأثير" أن يزيد لما بلغه قتل (الحسين) ندم وقال: وما عليّ لو احتملـــت الأذى وأنزلت الحسين معي في داري وحكمته فيما يُرد، وإن كان عليّ في ذلـــك وهني في سلطاني حفظاً لرسول الله -ﷺ- ورعاية لحقه وقرابته: لعن الله ابن مـــرجانة (عبيد الله بن زياد) فإنه اضطره، وقد سأله أن يضع يده في يدي، أو يلحق

بـــثغر حتى يتوفاه الله فلم يجبه إلى ذلك فقتله فبغضني بقتله إلى المسلمين، وزرع في قلوبهـــم العـــداوة فأبغضني البرُّ والفاجر بما استعظموه من قتل الحسين، مالي ولابن مـــرجانة لعـــنه الله وغضب عليه". **وكان يزيد لا يتغذى أو يتعشى إلا ودعا علياً بن الحسين إلى ذلك**[٤٤].

وتلـــك إشارة واضحة عن ندم يزيد على مقتل الحسين ، وإعلان غضبه من عبيد الله بن زياد، ومحاولة منه في إثبات حسن النية في تقريب على بن الحسين منه.

ثـــم ينـــتقل الجـــاحظ لعهـــد "عبد الملك بن مروان" فيقول: **"ثم مازال الناس يتســـكعون مرة، ويداهنوهم مرة، ويقاربونهم مرة، ويشاركونهم مرة، إلا بقية ممن عصى الله تعالى ذكره، حتى قام عبد الملك بن مروان وابنه الوليد وعاملهما الحجاج بن يوسف، ومولاه يزيد بن أبي مسلم، فأعادوا على البيت بالهدم وعلى حرم المدينة بالغزو، فهدموا الكعبة، واستباحوا الحرمة، وحولوا قبلة واسط وأخروا صلاة الجمعة إلـــى مغـــيربان الشـــمس فإن قال رجل لأحد منهم: " اتق الله فقد أخرت الصلاة عن وقتها قتله على هـــذا القول جهاراً غير ختـــل وعلانية غير سر"**[٤٥].

وهـــنا يذكـــر الجـــاحظ الحوادث دون إبداء الأسباب، سواء في هدم بيت الله الحرام، أو مسجد رسول الله -ﷺ- وإن جاز لنا تصديق ذلك، فهل كفر حكام بنو أمية حـــتى يحولـــوا قبلة واسط، وإذا كان ذلك كذلك، فإلي أين وّجّهت، وهل يعقل تأخير الصلاة إلى مغير بان الشمس، ومن تكلم في هذا الشأن قُتل جهاراً وعلانية، اعتقد أن تحامل "الجاحظ" لا يحتاج إلى دليل.

وعـــن إصرار وتجبر "عبد الملك بن مروان" و"الحجاج" في رأي "الجاحظ" يقول: **"وقد كان بعض الصالحين رُبَّما وعظ بعض الجبابرة وحوّفه العواقب وأراه أن فـــي الـــناس بقـــية ينهون عن الفساد في الأرض حتى قام "عبد الملك بن مروان"، و"الحجـــاج بن يوسف"، فزجرا عن ذلك، وعاقبا عليه، وقتلا فيه فصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه"**[٤٦].

ثم يحاور "الجاحظ" نفسه ليقنع قراءة بوجهة نظرة فيقول: "فأحسب أن تحويل القبلة كان غلطاً، وهدم البيت كان تأويلاً، وأحسب ما رووا من كل وجه أنهم كانوا يزعمون أن خليفة المرء في أهله أرفع عنده من رسوله إليهم باطلاً ومصنوعاً مولَّداً، وأحسب وشم أيدي المسلمين ونقش أيدي المسلمات، وردهم بعد الهجرة إلى القرى، وقتل الفقهاء، وسب أئمة الهدى، والنّصب لعترة رسول الله -ﷺ- لا يكون كفراً: كيف يقول في جمع ثلاث صلوات فيهن الجمعة؟ ولا يصلُّون أولاهن حتى تصير الشمس على أعالي الجدران كالملاء المعصفر، فإن نطق مسلم خبط السيف، وأخذته العُمُد وشُك بالرماح، وإن قال قائل: اتق الله أخذته العزة بالإثم، ثم لم يرض إلا بنثر دماغه على صدره، وبصلبه حيث تراه عياله"(٤٧).

وتلك كلمات يحاول "الجاحظ" من خلال طريقة عرضها بذكاء، الاستحواذ على فكر وعقول قرائه، وسامعيه فيقول: لو اعتبرنا تحويل القبلة خطأ، وهدم البيت تأويل، ووشم (أي كيّ) أيدي المسلمين لمراقبة الضرائب، ونقش أيدي المسلمات وردهن إلى قُراهم دعوة للتخلف لأن الهجرة تحضر، فلو التمسنا لذلك عذراً والكلام للجاحظ، فماذا تقول في جمع ثلاث صلوات فيهن الجمعة، ولا يصلون الأولى إلا متأخراً، ومن اعترض قُتل وصُلب أمام أهل بيته، وكأن "الجاحظ" يطلب منا إجابة توافق رأيه، ولكن هل من المعقول أن يحدث هذا في الصلاة، أمام أعين ومسامع الرعية، وإن وافقت عليه جماعة فأين بقية المسلمين، والصلاة ركن مهم من أركان الإسلام، فهذا بالطبع لو حدث لكان كفراً واضحاً، وعلى ذلك فهو من تحامل "الجاحظ" لعدم تواتره في المراجع الأخرى.

ثم يتطرق "الجاحظ" إلى ذكر بعض الأعمال التي تصدر من عمال بني أمية، وهم يخطبون الجمعة، فيقول: "**ومما يدل على أن القوم لم يكونوا إلا في طريق التمرد على الله عز وجلّ، والاستخفاف بالدين، والتهاون بالمسلمين، والابتذال لأهل الحق أكل أمرائهم الطعام، وشربهم الشراب على منابرهم أيام جمعهم وجموعهم، فعل ذلك حُبيش بن دُلجة، وطارق مولى عثمان، والحجاج بن يوسف وغيرهم، وذلك إن كان**

كفـــراً كله، فلم يبلغ كفر نابتة عصرنا، وروافض دهرنا؛ لأن جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك"[٤٨].

وأعـــتقد أن هـــذا ليس سهلاً أن يحدث على المنابر، وإن كان فهو في بعض الأشـــخاص، ولـــيس في حكام بن أمية، وكل شيء فيه نسبية، وما يفعله الجزء ليس بالضرورة أن ينسلخ على الكلّ، ولو نظرنا مثلاً إلى الحجاج وما ينسب إليه من الشدة والقســـوة مع الرعية. نجد أن هذا الموقف يحتاج إلى حكم متأنٍ، وذلك لأن "الحجاج" كان رجل دولة ينفذ سياستها ويخدمها، وبالطبع كان عليه أن يسترضي أهل الكوفة لا أن ينزل بهم مذبحة، فالوضع السياسي كان يتطلب ذلك، ثم إن الحجاج كان –رغم ما يقـــال عليه– رجل تقي لـــه دوره في تدوين المصاحف، ورجل تعمير فهو الذي بنى مديـــنة "واسط". كما ينسب لـــه دور مهم في انتشار الإسلام بين أتراك آسيا الوسطى وغيرهم، لكنه كان لا يتساهل مع الخارجين عليه لإستتباب الأمور[٤٩]، وهل كان سيده –عبد الملك بن مروان– شريراً كما يقول الجاحظ، ويفتتح كل هذه الفتوح.

فـــرؤية "الجاحظ" إذن تحتاج إلى نظرة واعية، لأن الدولة الإسلامية وصلت إلى أقصى اتساع لها في ذلك العصر، ولم يكن اتساعاً جغرافياً فحسب، وإنما صاحبه تعريب للبلاد المفتوحة.

وفي ذلك يقول الدكتور حسين مؤنس: ولا نريد بذلك سعة الفتوح فحسب، بل نضيف إلى ذلك أن فتوح بني أمية في مجموعها هي أبقى الفتوحات (بعد فتوح النبي –ﷺ–، وأبـــي بكر الصديق، وعمر ابن الخطاب، وعثمان بن عفان، وأبعدها أثراً في اتساع نطاق العروبة والإسلام، فقد فتح "الغزنويون" في المشرق فتحاً ضاع، والغالبية العظمـــى ممـــا فتح الأتراك العثمانيون في الغرب ضاع، وما انتشر من الإسلام فيما فـــتحوه أقـــلّ بكثير مما كنا نتوقع، ولم يستعرب منه شيء، أما بنو أمية فكانوا عرب فاتحين، وقد عملوا على نشر الإسلام والعروبة في كل ما فتحوه، ولولا ظروفاً طارئة حالـــت بيـــن استعراب "إيران" لكان شرق الدولة الإسلامية كله اليوم عربياً، كما كان الحال في غربها[٥٠].

وإن كان ذلك من إيجابيات بني أمية، فإن الفضل أيضاً في سك النقود العربية الخالصة يرجع إليهم، فإن النبي -ﷺ- قد أبقى على الدراهم الفارسية، والدنانير البيزنطية، حفاظاً منه -ﷺ- على مكاسب الناس الاقتصادية، واتقاء لحدوث أي اضطراب في المعاملات التجارية، لو حدث تَغيّر في المجال النقدي(٥١)، وقد جاء ذكر الدينار والدرهم في القرآن الكريم، حيث قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٥)، وقال جلّ شأنه: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (يوسف: ٢٠).

وقد روى عن على بن أبي طالب قوله: "زوجني رسول الله -ﷺ- فاطمة، على أربعمائة وثمانين درهماً وزن ستة". كما يذكر أن هرقل الإمبراطور البيزنطي قد أرسل إلى النبي -ﷺ- دنانير بيزنطية، فأخذها وقسمها بين أصحابه"(٥٢).

ولما استخلف أبو بكر الصديق -رضى الله عنه- عام ١١هـ/ ٦٤٣م، عَمل بسنة رسول الله -ﷺ- في إقرار تلك النقود الفارسية، والبيزنطية بما تحمله من سماتها، ومع أن العرب أصبحوا في عهد عمر بن الخطاب ١٣- ٢٣هـ، سادة قريش، وما بين النهرين، وسوريا، إلا أنهم أبقوا على النقود التي يتداولها الناس؛ لأنها كانت مألوفة لديهم(٥٣).

وكان لابد من أن يفكر العرب المسلمون يوماً ما في ضرب النقود حتى تتمثل فيها سلطة الخليفة كحاكم أعلى لكل الولايات الخاضعة له، وعلى ذلك بدأ الخليفة (عمر بن الخطاب) التجربة، فضرب العملة عام ١٨هـ، على غرار الدراهم الفارسية، وزاد في بعضها كلمة (الحمد لله) وفي بعضها - محمد رسول الله- وفي البعض الآخر لا إله إلا الله، وفي عهد الخليفة (عثمان بن عفان) ضربت عملة كتب عليها الله أكبر، وكذلك الأمر عندما تولى الخلافة (على بن أبي طالب)، ومعاوية بن أبي سفيان(٥٤).

فلمـــا اجتمع الأمر لـــ (معاوية بن أبي سفيان) ضرب الدراهم السود الناقصة عـــن ستة دوانق، ويذكر أنه ضرب دنانير عليها تمثال متقلداً سيفه، ثم جاءت الخطوة الثانـــية حيـــث تم إزالة اسم الملك الساساني، وكتب اسم الخليفة بدلاً منه فكانت تنقش كالتالي.

مركز الوجه:

وسط- صورة الخليفة، وكتب اسمه بالحروف البهلوية.

محيط- مأثورة إسلامية- بسم الله - باللغة العربية.

مركز الظهر:

يعـــتقد أنه مذبح النار، وإلى جانبه حارسا النار المقدسة. وبعد أن تم فتح بلاد الفـــرس، ظلت دور السك تقوم بعملها، وقام الحكام المسلمون بإصدار دراهم مشابهة لـــتلك التـــي قام بسكها آخر ملوك الساسانيين، ولكنها حملت مأثورات عربية إسلامية على محيط وجه العملة، وعرفت هذه المسكوكات بالمسكوكات العربية الساسانية[٥٥].

أمـــا المســـكوكات في سورية فكان الوضع مختلفا، حيث قام العرب بإصدار مسكوكات مشابهة للمسكوكات البيزنطية ، وقد أضافوا لها اسم مدينة "السك" باليونانية فكانت كالتالي.

مركز الوجه

وسط: طور الصور الإمبراطورية حاملاً الصولجان.

محيط: مأثورة إسلامية عربية - بسم الله.

مركز الظهر:

وسط: حروف ورموز.

محيط: حمص باليونانية- طيب.

وأصـــبحت هـــذه الـــنقود متداولة جنباً إلى جنب مع المسكوكات البيزنطية، وعرفت بالمسكوكات العربية البيزنطية[٥٦].

ولما تولى "يزيد بن معاوية" (٦٠- ٦٤هـ/ ٦٨٠- ٦٨٤م) الخلافة بعد وفاة أبية نشأت خلافات سياسية بشأن الخلافة، فظهر حزب (عبد الله بن الزبير) المعارض الــذي أعلــن نفسه خليفة للمسلمين، وجعل مركز قيادته (مكة)، فسك العملة المدورة، وجعــل مركز وجهها: محمد رسول الله، ومركز الظهر: أمر الله بالوفاء والعدل، وقد ســك نقــوداً دوّن عليها اللقب الذي اتخذه لنفسه، وهو أمير المؤمنين باللغة البهلوية، ونقشها كالتالي.

مركز الوجه:

وسط: صورة عبد الله واسمه بالعربية، ولقبه بالبهلوية.

محيط: مأثورة إسلامية – بسم الله.

مركز الظهر:

وسط: يعتقد أنه مذبح النار وإلى جانبه حارساً النار المقدّسة. كما ضرب أخوه مصعب بن الزبير، دراهم بالبصرة، وجعل كل عشرة منها سبعة مثاقيل، وأعطاها في العطاء(٥٧).

وسك أيضاً الحجاج بن يوسف الثقفي نقوداً بالعراق نقش عليها:-

مركز الوجه:

وسط: صورة الحجاج واسمه بالعربية.

محيط: مأثورة إسلامية: بسم الله.

مركز الظهر:

وسط: يعتقد أنه مذبح النار وإلى جانبه حارسا النار المقدسة.

وعلى ذلك بدأ النقد يستقل تدريجياً كلما فرض الفاتحون أنفسهم فظهرت بعض الكلمــات العربية مثل: جابر، طيب، والبسملة، وكلمة التوحيد، تمهيداً للاستقلال التام والتعريب(٥٨).

ويذكر "**البلاذري**" أنه يعزي **لمروان بن الحكم** محاسبته لمن حاول غش العملة فــيقول: أخــذ رجلاً يقطّع الدراهم، فقطع يده، فبلغ ذلك زيد بن ثابت فقال لقد عاقبه،

وعلـــى غـــراره أخذ (عبد الملك بن مروان) رجلاً يضرب على غير سكة المسلمين، فأراد قطع يده، ثم ترك ذلك وعاقبه(٥٩).

أمـــا تعريـــب العملة ومعها الإدارة، فيعزى ذلك لـــ **(عبد الملك بن مروان) (٦٥- ٨٦هـــ/ ٦٨٥- ٧٠٥م)**، حيث أنه واجه أعداءه بمساعدة قائديه: الحجاج بن يوســـف الثقفي، والمهلب بن أبي صفرة، فتخلص من "مصعب بن الزبير" في البصرة عـــام ٧٢هـــ، وكذلك من أخيه "عبد الله" عام ٧٣هـــ، فضلاً عن **(قطري ابن الفجاءة)** الخارجـــي فـــي طبرســـتان عام ٧٩هـــ، فخضع الشرق كله لـــه، وقام عندئذٍ بصبغ الإدارة بالصـــبغة العربـــية، وضـــرب عملـــة عربـــية خالصة، لكونها ضرورة من ضـــروريات الحكـــم، لتختفـــي أمامها تلك العملة التي ضربها (ابن الزبير)، وكذلك **(قطـــري ابـــن الفجـــاءة)**: الذي ضرب عملة جعل مركز وجهها في الوسط: صورة قطري، واسمه بالبهلوية. أما في المحيط: مأثورات إسلامية، وعبارة: لا حكم إلا لله، وهـــو شـــعار الخوارج، بينما جعل في مركز الظهر: الوسط: مذبح النار وإلى جانبه حارساً النار المقدسة(٦٠).

وأمـــا عملة (عبد الملك بن مروان) فكانت عربية إسلامية خالصة، خالية من الشـــارات المســـيحية، والصـــور الآدمية، وتعتمد على الشهادتين بالخط الكوفي نقش عليها:

مركز الوجه:

وسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

محـــيط: محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون.

مركز الظهر:

وسط: الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد.

محيط: بسم الله، ضرب هذا الدينار في سنة سبع وسبعين(٦١).

وكانـــت الســـكة الإســـلامية قبل ذلك تضرب بصورة الإمبراطور البيزنطي فاســتبدلها بصورته. وإن كان عبد الملك بن مروان قد ضرب عملة عليها صورته، فربما كان ذلك الإعلاء لشأن الدولة الأموية في مواجهة الدولة البيزنطية، التي حرمت هـذا الحـق على غير البيزنطية، لذلك دافع "جستنيان الثاني" (٦٦- ٧٦هـ/ ٦٨٥-٦٩٥م) عـن هـذا الموقـف، وألغى المعاهدة التي كانت بين الطرفين من قبل، تدفع بموجـبها الدولـة، الأموية أجوراً لنقل الجنود بسكّة كانت تحمل صورة الإمبراطور البيزنطـي، وعبـثا حاول (عبد الملك بن مروان) إقناع الدولة البيزنطية بقبول سكته مـادام وزن الذهب هو المعوّل عليه، لكن بيزنطة رفضت فتجرد العداء التقليدي بين الطرفين[٦٢].

وعلـى ذلك يمكن اعتبار هذا الطراز الجديد من السكة الإسلامية التي تحمل صورة الخليفة (عبد الملك) بمثابة خطة ثورية في سبيل الإصلاح المالي؛ لأنها كانت فـي حقيقتها ثورة على نظم السكة القديمة، لإخضاعها لمبدأ التعريب الذي حققه عبد الملـك، فـي جمـيع الميادين الإداريـة، أو مـناورة سياسية قصد بها جسّ نبض الإمـبراطورية البيزنطـية، أو محاولـة مـن الخليفة لتحدي مكانة السكة البيزنطية، وسيادتها العالمية، وإظهار للدور الذي يمكن أن تلعبه القوة العربية الجديدة في الميدان الاقتصـادي، ثم بعد كل هذا يريد أن يمهد لظهور الطراز الإسلامي من المسكوكات، وهـو طـراز عـام ٧٧هـ، حتى لا ينصرف رعاياه عن سكته الجديدة إلى السّكة البيزنطية المألوفة، ذات الصور. ولقد كان طراز عام ٧٧هـ عربي إسلامي خالص، خالـي مـن الشارات المسيحية، والصور الآدمية كما أشرنا، ويعتمد على كتابات من الشهادتين بالخط الذي ينتسب إلى الكوفة، وكان على النحو التالي:-

مركز الوجه:

وسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

محيط: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

مركز الظهر:

وسط: الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد.

وفـــي عـــام ٧٩هـــ كانت الدراهم الإسلامية تحمل مكان الضرب، وقد نقشت على النحو التالي:

مركز الوجه:

وسط: قُل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

محـــيط: محمـــد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون.

مركز الظهر:

وسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

محيط: بسم الله، ضرب هذا الدرهم بدمشق سنة خمس وثمانين(٦٣).

وفـــي عهـــد الخليفة "الوليد بن عبد الملك" (٨٦- ٩٦هـــ/ ٧٠٥- ٧١٥م) ضربت الدراهم وقد نقش عليها:

مركز الوجه:

وسط: قُل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

محـــيط: محمـــد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون.

مركز الظهر:

وسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

محيط: بسم الله، ضرب هذا الدرهم بمرو سنة تسعين(٦٤).

ولمـــا تولى من بعده سليمان بن عبد الملك (٩٦- ٩٩هـــ/ ٧١٥- ٧١٧م) وقد ضربت النقود في عهده ونقشت كالتالي:

مركز الوجه:

وسط: قُل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

محـــيط: محمـــد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون.

مركز الظهر:

وسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

محيط: بسم الله، ضرب هذا الدرهم بواسط سنة سبع وتسعين[٦٥].

وفي أيام يزيد بن عبد الملك (١٠١- ١٠٥هــ/ ٧٢٠- ٧٢٤م) ضربت النقود الهبيرية (نسبة إلى عمر بن هبيرة الذي ضربها) بالعراق على عيار ستة دوانق نُقش علـــيها نقش العملة السابقة أيام سليمان بن عبد الملك مع تغيير مكان الضرب بالكوفة بـــدلاً مـــن واســـط. وفي أيام هشام بن عبد الملك (١٠٥- ١٢٥هـــ ٧٢٤- ٧٤٣م) ضربت السكة ونقشت كما يلي:

مركز الوجه:

وسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

مركز الظهر:

وسط: محمد رسول الله.

محيط: بسم الله ضرب هذا الفلس بواسط سنة عشرين ومائة.

فلما اعتلى مروان بن محمد الخلافة الأموية ١٢٧- ١٣٢هــ/ ٧٤٤- ٧٥٠م) وهـــو آخـــر خلفـــاء بني أمية ضرب الدراهم بالجزيرة على سكة حران إلى أن قُتل وانتزع بنو العباس السلطة من الأمويين[٦٦].

وهكـــذا رأيـــنا جهد (الأمويين) المتواصل في تعريب العملة، وتحريرها من الســـيطرة الأجنبية، لتعبر عن هوية الدولة العربية الإسلامية، وهي إيجابية بالطبع لبنـــي أمية غفل عنها "الجاحظ الذي صب جام غضبه على الأمويين حتى قال: "وقد كانـــت هـــذه الأمة لا تجاوز معاصيها الإثم والضلال إلا ما حكيت لك عن بني أمية، وبني مروان وعمالها، ومن لم يدن بإكفارهم حتى نجمت النوابت وتابعتها هذه العوام، فصار الغالب على هذا القرن الكفر، وهو التشبيه والجبر فصار كفرهم اعظم من كفر

من مضى في الأعمال التي هي الفسق، وصاروا شركاء من كفر منهم بتوليتهم وترك إكفارهم"(٦٧).

وفي النهاية لا يخفى "الجاحظ" تعصبه الشديد للموالي، وروحه الشعوبية التي تـنظر للعرب بكل حقد مهما حاول التبرأة من ذلك حين قال: "**فنحن معاشر الموالي بقديمـنا في العجم أشرف من العرب، وبالحديث الذي صار لنا في العرب أشرف من العجـم، وللعـرب القديـم دون الحديث، ولنا خصلتان جميعاً وافرتان فينا وصاحب الخصلتين أفضل من صاحب الخصلة، وقد جعل الله المولى بعد أن كان عجمياً عربياً بولائه، كما جعل حليف قريش من العرب قرشياً بحلفه، وجعل إسماعيل بعد أن كان أعجمـياً عربـياً، ولولا قول النبي -ﷺ- إن إسماعيل كان عربياً، ما كان عندنا إلا أعجمياً، لأن الأعجم لا يصير عربياً، كما أن العربي لا يصير أعجمياً**(٦٨).

وهي كلمات تظهر مدى تعصب (الجاحظ) ضد العرب بشكل عام، وليس ضد الأمويـين فحسب مما يُعد تشويهاً للتاريخ الأموي بوجه خاص، والعرب بوجه عام، وللأسـف أن التشويه نبع من بين الكتاب العرب مثل الجاحظ، واليعقوبي والطبري، وغير ذلك لكن (الجاحظ) كان من خلال رسالته (النابتة) أشد تشويهاً، لننتقل بعد ذلك إلـى دور كل من فون كريمر (Von Kremer)، وفان فلوتن (Van Vloten) في تشويه التاريخ الأموي.

المحور الثاني

فـــون كريمر Von Kremer، وفان فلوتن Van Vloten وموقفهما من تاريخ بني أمية:

لاشـــك أن كثيراً من المستشرقين قد نالوا من التاريخ الإسلامي بصفة عامة، والـــتاريخ الأمـــوي بصفة خاصة مثل :- **وات، وماكسيم رودينـــون، وماسينيون، وبـــلاك، وبـــيكر، وبلاســـيوس، وبـــرنارد لويـــس، وجولدزيهـــر، ومونتجومري، وهورجرونجـــي**[٦٩]، **وفـــون كريمـــر، وفان فلوتن**. وقد ركزت على الأخيرين في موقفهما من التاريخ الأموي لتأثير الأول في الثاني.

أولاً: فـــون كريمر وكتابه (الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية).

فـــون كريمـــر: مستشـــرق ألمانـــي ألف كتابه عن أثر اليهودية، والمسيحية والبرسية parsis[٧٠]، والمانوية[٧١] في الإسلام، وقد جعله في مقالتين باللغة الألمانية، ثم جاء المؤرخ المسلم الهندي الكبير (خدابخش) وترجمه إلى الإنجليزية تحت عنوان (الحضارة الإسلامية) في الجزء الأول من كتابه المسمى (مساهمة في تاريخ الحضارة الإسلامية).

Contribution to the history of Islamic civilization[٧٢]

وللأســـف فإن **(خدابخش)** ذلك المؤرخ الهندي المسلم، وجه في مقدمته طعنة للمسلمين حين قال: "**ولنتناول الآن الكلام على حركات الإلحاد المختلفة التي تبدو فيها آثـــار إســـلامية، فمـــن المقرر أنه في غضون القرن الثامن الميلادي، قامت حركة إلحاديـــة فـــي سبتمانيا بفرنسا، تنكر الحاجة إلى الاعتراف للقسيس بدليل سديد لا يشـــوبه الـــباطل مـــن بين يديه، ولا من خلفه، وهو أن الناس يجب ان يعترفوا لله وحـــده، ومن المعروف جيداً أن الإسلام ليس فيه قُسس، وبذلك ليس فيه اعتراف، ومـــن الواضـــح أن هذه الحركة الإلحادية من أثر الأفكار الإسلامية التي لم يستطع المســـيحيون فـــي ســـبتمانيا أن يسلموا منها تماماً، ومع أن البروتستانت يرفضون**

نظـرية الاعتراف، فإننا لا نستطيع أن نتجنب التفكير في أن الحركة الإلحادية التي نحـن بصـددها بمـا فيها من عداء للفكرة الكاثوليكية الحقة، وقرب للإسلام، تدين بظهورها للأفكار الإسلامية المنتشرة"(٧٣).

وهكـذا نرى "**خدابخش**" كيف عدّ الاعتراف لله وحده بالذنب، حركة إلحادية تأثـرت بالتعالـيم الإسـلامية، علمـاً بأن ذلك هو المنطق السليم، وبالرغم من تبني البروتستانت هذه الفكرة ضد الكاثوليك، إلا أنه أرجعها إلى الأفكار الإسلامية، ألم يكن ذلك حيد عن الحق، ونيل من العقيدة الإسلامية من مؤرخ مسلم تأثر بالأفكار الغربية.

ثم يواصل "**خدابخش**" هجومه فينظر إلى اغتيال الخليفة "**عثمان بن عفان**" عام **٣٥هـ/ ٦٥٥م** علـى أنـه مـن الحوادث الخطيرة التي تحطمت على أثره قدسية شخصية الخليفة، فكان ذلك نقطة تحول من الحكومة الدينية إلى الملكية، ويقول أيضاً "**وقـد كانت الكلمة عقب اغتيال الخليفة "عثمان" لقانون القوة، وكان الأمويون بدون نزاع هم أقوى الأحزاب نفوذاً، وأكثرهم عدداً"**(٧٤).

ويمكـن لنا تفنيد هذا الرأي ونقول: إنه من الثابت في الشريعة الإسلامية أن المسـلمين لا يُقدسـون خلفاءهم، بل يتعاملون معهم في إطار الشرع، والمنطق الذي يحكـم الـتعامل بيـن الراعـي والرعـية، فلا ننس قول الخليفة أبي بكر الصديق (١١- ١٣هـ/ ٦٣٢- ٦٣٤م) عند مبايعته بالخلافة "**أيها الناس قد وُليتَ عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خـيانة، والضـعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي ضعيف عندي حتى آخـذ مـنه الحـق إن شاء الله تعالى، لا يدع أحد منكم الجهاد فإنه لا يدعه قوم إلا ضـربهم الله بـالذل، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعـة لـي عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله"**(٧٥). وعن كلمة القوة بعد اغتيال الخلـيفة عـثمان وأنها أصبحت للأمويين، فلا ننسى أن جيوش الخليفة علي بن أبي طالب (٣٥- ٤٠هـ/ ٦٥٥- ٦٦٠م)، كانت الأقوى في الصراع مع "معاوية بن أبي سـفيان" في صفين ٣٧هـ/ ٦٥٧م حتى عمد معاوية بمشورة "عمرو بن العاص" إلى

رفع المصاحف على أسنة الرماح، طلباً للتحكيم بعد تقدم قوات الخليفة عليّ في ميدان القتال.

ثـم يذكر "**خدابخش**" أن الفريق الإسلامي الأكثر تديناً (العلويون) قد غضبوا مـن الحكومـة الأموية، وأن الحسين بن عليّ قد أرسل كتاباً إلى معاوية، على رواية "ابن قتيبة" قال فيه "**أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور لم تكـن تظننـي بها رغبة بي عنها، وأن الحسنات لا يُهدي لها ولا يسدد إليها إلا الله تعـالى، وأما ما ذكرت أنه رقى إليك عني فإنما رقاه الملاقون المشاؤون بالنميمة، المفـرقون بيـن الجمع، وكذب الغاوون المارقون ما أردتُ حرباً، ولا خلافاً، وإني لأخشـى الله في ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحلين، حزب الظالم وأعوان الشـيطان الرجـيم، ألسـت قـاتل حجـر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعـد مـا أعطيـتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة، جراءة على الله واستخفافاً بعهـده، أو لست بقاتل عَمرو بن الحمق الذي أخْلَقتَ وأبْلَتْ وجهه العبادة فقتلته من بعـد مـا أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم فنزلت من شعف الجبال، أو لست المدّعـي زياداً في الإسلام، فزعمت أنه ابن أبي سفيان، وقد قضى رسول الله ﷺ أن الولـد للفـراش وللعاهر الحجر، ثم سَلطته على أهل الإسلام، يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهـم من خلاف، ويصلبهم في جذوع النخل، سبحان الله يا معاوية لكأنك لستَ مـن هـذه الأمة وليسوا منك، أو لست قاتل الحضرمي الذي كتب إليك فيه زياد أنه على دين عليّ كرم الله وجهه، ودين عليّ هو دين ابن عمه ﷺ الذي أجلسك مجلسك الـذي أنـت فـيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشـتاء والصيف فوضعها الله عنكم بنا منّة عليكم، وقلت فيما قلت لا تُرد هذه الأمة فـي فتنة وإني لأعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها، وقلت فيما قلت انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد، وإني والله ما أعرف أفضل من جهادك فإن أفعل فإنه قربة إلى ربـي، وإن لـم أفعله فاستغفر الله لديني وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى... وإني**

لأرجـــو أن لا تضر إلا نفسك ولا تمحق إلا عملك .... واتق الله يا معاوية واعلم أن لله كــتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، واعلم أن الله ليس بناس لك قتلك بالظنة وأخذك بالتهمة وإمارتك صبياً يشرب الشراب ويلعب بالكلاب، ما أراك إلا وقد أوبقت نفسك وأهلكت دينك وأوضعت الرعية والسلام"(٧٦).

ولو تأملنا الكتاب لرأيناه أولاً هو رد على كتاب قد أرسله "معاوية" من قبل، لم يــورده (خدابخش) رغم وجوده عند (ابن قتيبة) الذي اعتمد عليه فيما نقله ودان لـــه بالفضل ونص الكتاب هو "**أما بعد: فقد انتهت إليّ منك أمور لم أكن أظنك بها رغبة عـــنها، وأن أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعة من كان مثلك، في خطرك وشرفك، ومنزلتك التي أنزلك الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتك، واتق الله، ولا تُردن هذه الآمة في فتنة، وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون**"(٧٧).

وفـــي هـــذا الكتاب يُعدّد معاوية مناقب الحسين بن عليّ، ويدعوه إلى الاتفاق، وعـــدم الجنوح حتى لا تُطِلّ الفتنة برأسها ثانية، حفاظاً على وحدة الأمة، وكان بالطبع لابد من رد، فكان الذي أوضحناه، والذي جاء طبيعي في سطوره الأول ثم بدأ بعد ذلك يوضح سلبيات معاوية بل وينال منه مما يوحي بأن النص غير متسق المعنى فلا تتمشى نهايـــة الكتاب مع مقدمته فالكلام دخيل، ولعل عبارة "أولست قاتل الحضرمي الذي كتب إليك فيه زياد أنه على دين عليّ كرم الله وجهه، ودين عليّ هو دين ابن عمه ﷺ" لدليل على تعصب الاثنين (ابن قتيبة) الذي لم يُخف تَشَيُّعه وكذلك (خدابخش) الذي لم يمحص ما نقل.

ثم يسوق "**خدابخش**" حواراً بين (عبد الملك بن مروان) وبين (الزهري) فيما نقـــل علـــى لســـان (ابن الصلاح) في رحلته، يُعلي فيه من قدر الموالي، في مواجهة العنصـــر العربي على غرار (الجاحظ)، فيذكر أن (عبد الملك) كان يسأله عمن يسود الـــناس في كل من (مكة، واليمن، ومصر، والشام، والجزيرة، وخراسان، والبصرة)، وكـــان (الزهري) يجيبه بأنهم من (الموالي). وما إن وصل في الحديث إلى (الكوفة) حـــتى تـــنفس (عبد الملك) الصعداء عندما قال لـــه (الزهري) إن سيد القوم بها هو

(إبراهيم النخعي) العربي الأصل، فقال (عبد الملك): ويلك يا زهري فرجّت عني والله لتســودن الموالــي على العرب، حتى يُخطب لها على المنابر وإن العرب تحتها، قال قلت: يا أمير المؤمنين إنما هو أمر الله ودينه فمن حفظه ساد ومن ضيعه سقط"[٧٨].

وبــنظرة علــى هذا الكلام يمكن القول: أنه ليس من المعقول أن يكون (عبد الملــك بن مروان)، وهو على قمة الجهاز الحاكم في الدولة لم يعرف عماله، هل هم مــن العــرب أم مــن الموالي، وفوق ذلك كيف يترك هذا الخليفة كل هؤلاء الموالي يســودون ويحكمون في بلاده، بل وكيف يعقل أن يتوقع (عبد الملك) سيادة الموالي، وتقزيم العرب، وهو الذي سعى بكل ما يملك إلى تعريب الدولة، أعتقد أن هذا الكلام بعيد كل البُعد عن جادة الطريق، وتعصب واضح ضد الأمويين على وجه الخصوص.

أمــا **(فون كريمر)** صاحب هذا الكتاب فيذكر أن الديانة الإسلامية ديانة جديدة جافــة، شنت حرباً ضد النظم الدينية القديمة الراقية[٧٩]، وهو كلام لا يحتاج إلى نقد، فهــو مرفوض شكلاً وموضوعاً لأن رقي الديانة الإسلامية في كافة سماتها لا يحتاج إلى دليل.

ثــم يُــرجع **(فون كريمر)** تسامح الأمويين مع المسيحيين وإقامة بعضهم في بلادهــم، إلى حياة اللهو والترف التي عاشوا فيها[٨٠]، ناسياً قانون (النسبية) لأينشتين، فلــيس بالضــرورة أن ينســلخ الجزء (اللهو) عن الكلّ، وإلا فكيف وصل الأمويون بالمســلمين إلــى كــل هذه السيادة على أكبر مساحة جغرافية سيطرت عليها الدولة الإســلامية مــن الصــين شرقاً حتى فرنسا غرباً، بل وعمل الأمويون جاهدين على تعريبها سواء في اللغة، أو العملة، أو الدواوين.

وعــن تعــامل المســلمين مــع أهل البلاد المفتوحة يذكر **(فون كريمر)** أنهم عاملوهم معاملة العبيد، وأثقلوا كاهلهم بأنواع مختلفة من الأعباء، وقد أثر عن الخليفة (عمــر بــن الخطاب) أن حرّم علي العرب امتلاك الأراضي وزراعتها، لكي يجعلهم طبقة عسكرية ممتازة، تعمل على انتشار الإسلام هنا وهناك[٨١].

وهـذا اتهـام خطـير للخليفة (عمر بن الخطاب)، فقد عامل أصحاب البلاد المفتوحة معاملة حسنة فيذكر القاضي (أبو سيف ت ١٨٢هـ) أن (عمر بن الخطاب) كان إذا استعمل رجلاً أشهدَ عليه رهطاً من الأنصار وغيرهم واشترط عليه أربعاً: أن لا يركـب بـرذوناً، ولا يلـبس ثوباً رَقيقاً، ولا يأكل نقياً، ولا يغلق باباً دون حوائج الناس، ولا يتخذ صاحباً. وبينما كان يمشي في بعض طرق المدينة إذ هتف به رجل: يـا (عمـر) أترى هذه الشروط تنجيك من الله تعالى، وعاملك **(عياض بن غنم)** على **(مصـر)**، وقد لبس الرقيق، واتخذ الحاجب،فدعا (محمد بن مسلمة) وكان رسوله إلى العمـال بعـثه وقال: ائتني به على الحال التي تجده عليها، قال: فأتاه فوجد على بابه حاجـباً، فدخـل فإذا عليه قميص رقيق، قال: أجب أمير المؤمنين فقال: دعني أطرح علـيّ قبائـي، فقال: لا، إلا على حالك هذه. فقال، فقدم به عليه، فلما رآه عمر قال: انـزع قميصـك، ودعـا بمدرعـة صوف وبربضة من غنم وعصا فقال: البس هذه المدرعة. وخذ هذه العصا وارع هذه الغنم، واشرب واسقي من مرّ بك، واحفظ الفضل علبنا. أسمعت؟ قال: نعم والموت خير من هذا، فجعل يرددها عليه ويردد الموت خير من هذا، فقال عمر: ولم تكره هذا، وإنما سمّي أبوك غنماً لأنه كان يرعى الغنم. أترى يكـون عـندك خير؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين قال: انزع، وردّه إلى عمله. قال: فلم يكن له عامل يشبهه[٨٢].

وهكـذا ضـرب لنا (عمر بن الخطاب) مثلاً نظرياً وعملياً في معاملة أهالي الـبلاد المفتوحة، فلم يترك عامله (عياض بن غنم) ينعم بما نعم دون حساب، وهناك الأمـثلة العديـدة على حسن معاملة المسلمين لأهالي البلاد المفتوحة، ويبدو أنَ (فون كريمـر) تنـبه لذلك فناقض نفسه قائلاً عن جباية الضرائب: **"كانت تفرض ضريبة الرأس وتجبى على الوجه التالي: (١) الطبقة العليا ٤٨ درهماً (٢) الطبقة الوسطى ٢٤ درهمـاً (٣) الطبقة السفلى ١٢ درهماً، وكان النساء والمسنون مع ذلك يعفون من ضريبة الرأس، وكانت تجبى فقط من الرجال البالغين[٨٣].**

وفــي ذلك قال (أبي يوسف) عند جباية الضرائب أنها تكون: ثمانية وأربعون درهمـاً على الموسر مثل الصيرفي، والبزاز، وصاحب الضيعة، والتاجر، والمعالج الطبيب، وكل من كان منهم بيده صناعة وتجارة يحترف بها أخذ من أهل كل صناعة وتجـارة على قدر صناعتهم وتجارتهم: ثمانية وأربعون درهماً على الموسر، وأربعة وعشـرون درهمـاً علـى الوسـط، واثنا عشر درهماً على العامل بيده مثل الخياط والصـباغ والإسكافي والخراز. وكان الوالي يوصى بأن لا يكون عسوفاً لأهل عمله، ولا محتقراً لهم، ولا مستخفاً بهم(٨٤).

وبعد حديث (فون كريمر) عن الشيعة المُغالية التي تُقِّدس "علياً بن أبي طالب" لدرجة الألوهية، ينتقص من العرب قائلاً "على أنه من الظلم أن ينسب الأثر الأكبر في أصـل الشيعة إلى الأفكار الشرقية القديمة فقط التي ربما كانت فارسية، لأننا نجد بين أوائـل الشـيعة وأقدرهـم رجالاً ممتازين من أصل عربي خالص(٨٥). وكأن (فون كريمـر) يلصـق تهمـة المغـالاة للعرب وليس للشيعة، وهذا تشويه للحقائق وخلط للأوراق.

ويـنقل (فـون كريمـر) عن صاحب كتاب (الأغاني) الذي لا يتسم بالحيدة التاريخية، بل يعتمد على الأسلوب القصصي، أن الخليفة (الوليد بن يزيد بن عبد الملك ١٢٥- ١٢٦هـ/ ٧٤٢- ٧٤٣م) كـان يعلـق حـول عنقه سلاسل ذهبية مرصعة بالأحجار الكريمة يُغريها يومياً(٨٦).

وبالطـبع أخطـأ فـون كريمر في نقله هذا الكلام دون تمحيص، فليس من المعقول أن ينشغل الخليفة بتغيير السلسلة يومياً في الوقت الذي كانت تعاني فيه الدولة كثيراً من المشاكل والفتن الداخلية في تلك الآونة التي اقتربت فيها من نهايتها.

ثـم يذكـر "فون كريمر" إن (هشام بن عبد الملك ١٠١- ١٢٥هـ/٧١٩- ٧٤٢م) اسـتقبل (إسـماعيل بـن يسار) وهو فارسي التمس حماية عربية، فتمتع بحمايـة قبيلة (تيم)، لكنه كان لا يُخفي تعصبه لفارسيته، فدخل على (هشام بن عبد الملـك) الـذي اسـتقبله في قلعته بالرصافة، وجلس على حافة (بركة) من الرخام،

وطلب إليه أن يقول شعراً، فأنشد مفتتناً بأصله الفارسي، وعندئذٍ أمر الخليفة هشام بإلقائه في البركة حتى كاد يموت غرقاً ثم نفاه إلى الشام.

وهنا نتساءل: هل كان إسماعيل سباحاً حتى يلقى في البركة ولا يغرق، وهل يعقــل أن يلقــى في البركة لكونه افتخر بأمجاده الفارسية، ثم إن هذا الكلام ليس لــه مصدر فمن أين أتى به فون كريمر.

وصــفوة القــول: فــإن "فون كريمر" وخدابخش لم يخفيا تشويههما للتاريخ الإســلامي عامة، وتاريخ الأمويين على وجه الخصوص، مما يدعونا لمحاولة قراءة هــذه الأعمال وغيرها وإعادة تنقيتها مما علق بها من زيف الحقائق وخلط الأوراق، ولــنعرج الآن علــى (فان فلوتن) لنرى تشويهه أيضاً للتاريخ الأموي. ليزداد حافزنا لمحاولة إعادة التاريخ الأموي.

ثانــياً: فــان فلوتــن Van vloten وكــتابه السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات[٨٨].

ألف **(فان فلوتن)** كتابه **(السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمــية)**، وقــام بترجمته والتعليق عليه الدكتور حسن إبراهيم حسن عام ١٩٣٤م، وقد اســتهل المؤلف كتابه بالنيل من المسلمين حين قال "**أصبح الإسلام بفضل ذلك النفوذ الــذي كــان يتمتع به الرسول ديناً قوياً قام بحد السيف، وانتشر بين الشعوب عن طريق الإنذار والوعيد**"[٨٩] وبالطبع هذا تحامل من **(فان فلوتن)** لا يقبل الشك إذ أنه لم يلتفــت إلــى قول الحق تبارك وتعالى "**لاَ إِكْــــرَاهَ فِي الدِّيـــــنِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**" **(سورة البقرة ٢٥٦).**

ثــم يقــول "**لــم يكن الغرض من الفتوحات الإسلامية على هذه الصورة هو إدماج شعب في آخر، أو العمل على نشر دعوة دينية معينة، وإنما هو احتلال بقوة الســيف**[٩٠]"، **ونســـي قــول الله جلّ وعلا "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْــنَاكُمْ شُــعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" (الحجرات ١٣). فلم**

يعقـــل إذن أن يدعو القرآن الكريم إلى التعارف، والتعاون بين الشعوب، ويدّعي (فان فلوتن)، على المسلمين الاحتلال بقوة السيف.

بعـــد ذلك يصور (فان فلوتن) الغزو الإسلامي على أنه احتلال بوجه عام من شعب لشعب آخر يعيش على حسابه، وهو نفس ما لاحظه (فون كريمر) من قبل حين قال **(كان أهل الولايات المغلوبة يحرثون ويبذرون، والمسلمون يحصدون، ولا عمل لهـــم سوى الحرب وشن الغارات)**[٩١] ونسي (فان فلوتن) أن المسلمين كانوا يوفرون الحماية لأصحاب هذه البلاد حتى يمكنهم القيام بأعمالهم المختلفة.

ثـــم يقـــول "**وينبغي أن لا يفوتنا أن الفتح العربي على حالته هذه، وإن كان معقـــولاً في بادئ الأمر، فقد كان لزاماً أن يصبح غير محتمل، اللهم إلا بقدر ما كان يُرحب به من النظم الجديدة التي كان يقتضيها ذلك الفتح نفسه، فغلطة الفاتحين من العـــرب إذن وعلى رأسهم الخلفاء هي إهمال تلك الحقيقة، وإذا تصدينا للتدليل على أن السيادة العربية لم تأت بخير مطلقاً للشعوب التي أخضعتها، فلكي نبين أن العرب قد أبوا في الوقت الملائم قبول التطورات التي كانت تقتضيها حال تلك البلاد**"[٩٢].

وإن كان (فان فلوتن) يتندر بالفتح الإسلامي، ويعتبره لا يقدم خيراً، ولا يقبل التصورات التي تقتضيها الظروف، فإنه قد ناقض نفسه في نفس الصفحة إذ يقول "**وقد احـــتفظ المســـلمون بالـــنظام القديم الذي سنَّه (عمر بن الخطاب) لجباية الضرائب، وأقـــاموا على جبايتها موظفين من أهالي تلك البلاد، ولم تكن الضرائب التي فرضها (عمر) فادحة على ما ذهب إليه بعض المؤرخين، هذا إلى ما كانت تقوم به الحكومة العربـــية مـــن بـــناء الطرق، وحفر الترع، وتوطيد الأمن، وما إلى ذلك من ضروب الإصلاح**"[٩٣]. وعلى ذلك يتضح التناقض تماماً، فبعد اتهامه الفتح بالعسف وعدم الأخذ بمتطلبات الحياة عاد ليناقض نفسه كما رأينا.

ثم يقول (فان فلوتن) عن الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام: إن ما أثر عن الفاتحين من العرب في صدر الإسلام، وإن كان يدل على ما كان عندهم من النزاهة والزهد في حطام الدنيا، والإخلاص للمصلحة العامة فإن الأنانية والجشع لم يلبثا أن

وَجَــدا طريقهما إلى النعيم والثراء، ذلك الثراء الذي لم يكن مألوفاً لهم. والذي كان أقرب إلى إفساد النفوس منه إلى تهذيب الأخلاق[٩٤].

وهنا يغالط (فان فلوتن)، الحقائق الثابتة، لأن الثراء كان موجوداً لدى العرب، فهم أهل تجارة لموقع بلادهم المتميز بين الشرق والغرب، فضلاً عن أن الثراء يمكن أن يفسد الناس، لكن تهذيب الأخلاق يكون دوماً من الدين.

كما يتهم (فون كريمر) العصر الأموي بالاستدانة، فيقول **(وطالما كان يغشو الــترف وينتشر الفساد تاركاً وراءه الكثير من الحاجات الجديدة من متطلبات الحياة الملحــة، وكانت الاستدانة هي الوسيلة الفذة لإشباع تلك الحاجات. وهي بعينها التي مهــدت الســبيل لقــيام المؤامرات كما كانت الحال في روما، ومن ثم كانت الثورة ضــرورة لإرضاء جشع الدائنين، فكثيراً ما كانت تُتخذ ذريعة للاستيلاء على ما في بيــت المـــال من الأموال)**[٩٥]، ونسي (فان فلوتن) أن العامل الاقتصادي لم يكن هو محرك الثورة وحده، ولكن هناك عوامل أخرى سياسية، واجتماعية، ونفسية، ودينية، وغير ذلك.

وينال (فان فلوتن) من الغزو والجهاد في سبيل الله على أنه بدافع مادي فيقول **(علــى أنــه كانــت هناك وسيلة أسهل وأشرف من ذلك كثيراً، وهي الغزوات وشن الغــارات على الكفار، وطالما كان الدافع إلى ذلك هو شره الولاة، والقواد. أكثر من الرغبة في نشر الدين كما يظهر لنا ذلك في بلاد خراسان خاصة)**[٩٦].

وللــرّد علــى ذلك نقول: لم يكن أبداً شَرَه الولاة والقواد هو الدافع للغزوات ولــيس لنشر الإسلام، لأن المال سريعاً ما ينفذ، بينما القيم والثوابت الدينية هي التي تبقى، وهي المحرك الديناميكي لغذاء القلوب، وإشباع النفوس.

وإن كـــان (فان فلوتن)، يتخذ من خراسان مثالاً لذلك، **فقد أخطأ لأن خراسان كانــت بمثابة القاعدة التي انطلقت منها الجيوش الإسلامية لنشر الدين الإسلامي بآسيا الوســطى، حــتى كانت بعض بلدانها مثل: بخارى، وسمرقند، وغيرهما منارة للعلم**

أفــرزت العديد من العلماء الذين كانوا ملئ السمع والبصر، وخطوا أسماءهم بأحرف من نور في سجل الحضارة الإسلامية.

ويـــتكلم (فـــان فلوتن) بعد ذلك على فتوح بعض البلدان مثل (طبرستان[٩٧]، وطخارســتان[٩٨]، وبلاد ما وراء النهر[٩٩] (Transorania) وأن هذه البلاد كانت تعقــد محالفـــات مـــع المســـلمين أيام الأمويين لمنحهم الحرية الدينية، وشيء من الاســتقلال، ودفـــع ضـــرائب مقررة، لكن سكان تلك البلاد كانوا كثيراً ما ينقضون المعـــاهدات، ممـــا يدفع المسلمين إلى شن الغارات، وتخريب البلاد، وسبي النساء، ولكن الغنائم مغرية، فقد شن بعض الفاتحين غاراتهم على بعض الولايات قبل إعلان الحرب عليها، ويستشهد في ذلك بالبلاذري[١٠٠].

وبقـــراءة البلاذري عن طبرستان نجده يذكر أن (مصقلة بن هبيرة) ولي أمر طبرســـتان أيام معاوية بن أبي سفيان فدخلها فكاده العدو وأروه الهيبة حتى توغل في بلادهم، فأخذوا عليه المضايق وهلك ذلك الجيش ومعه (مصقلة) حتى أصبح مثلاً بين الناس (حتى يرجع مصقلة من طبرستان)، ثم تولى أمر طبرستان (محمد بن الأشعث بن قيس الكندي) من قبل عبيد الله بن زياد، فصالح أهلها ثم أمهلوه حتى دخل فأخذوا عليه المضايق وقتلوا ابنه أبا بكر، ثم سار إليها (يزيد بن المهلب) فاستجاش الأصبهبذ الديلم فقدموا له المساعدة ليقاتل (يزيد) بعد ذلك صالحه يزيد على أربعة آلاف درهم، وســبعمائة ألـــف درهـــم مثاقـــيل كل سنة، وكان أهل طبرستان يؤدون الصلح تارة ويمتـــنعون تـــارة أخـــرى فـــيحاربون ويســـالمون حتى كانت أيام مروان بن محمد (١٢٧- ١٣٢هـ/ ٧٤٤- ٧٤٩م) فغدروا ونقضوا[١٠١].

وهكـــذا كان أهل طبرستان أهل غدر ومكيدة، وكان لابد من معاملتهم بالشدة حتى يستقيم أمر الدعوة الإسلامية هناك، ولم يذكر (البلاذري) كما رأينا الغارات التي قام المسلمون بها دون إعلان الحرب، ولا السبي للنساء وغيرها. وبالرغم من أنه من الطبيعي عندما تقوم بعض البلدان بنقض المعاهدات أن تتعرض لرد فعل المسلمين إلا أن (البلاذري) لم يذكر ذلك، فعلام اعتمد (فان فلوتن) في كلامه، إنه تعصب وتحامل

دون أدنى شك، ومما يؤيد ذلك أنه اعتبر فتوح (يزيد بن المهلب بن أبي صفرة) في جرجان وطبرستان ضرباً من قُطّاع الطرق(١٠٢).

ثم يعرج فان فلوتن على (سمرقند)، ويتخذها مثلاً في فتحها عنوة دون إعلام أهلها فيقول "**فتحت تلك المدينة أبوابها لسعيد بن عثمان بعد أن أبرمت بينه وبينها معاهدة، ودفعت له سبعمائة ألف درهم، كما قدّمت له مائة ألف من سكانها رهائن، ثم استولى عليها (قتيبة بن مسلم) فطرد أهلها، واحتلت جنوده مساكنها، كما روى ذلك مؤرخوا العرب على الرغم من أن سكان هذه المدينة لم يخرجوا على تلك المعاهدة التي كانت بينهم وبين سعيد بن عثمان**"(١٠٣).

وفي هذا السياق يقول (النرشخي) أحد المصادر الرئيسية في فتح بلاد ما وراء النهر، "لما فرغ سعيد بن عثمان من أمر (بخارى)، ذهب إلى(سمرقند والسغد)، وقام بحروب كثيرة، وكان النصر حليفه، ولم يكن بسمرقند يومذاك ملك. وأخذ من سمرقند ثلاثين ألفاً من الرقيق وأموالاً طائلة"(١٠٤).

فلم تفتح المدينة أبوابها كما قال فان فلوتن، ولم يأخذ سبعمائة ألف درهم كما ذكر، ولم تقدم له المدينة مائة ألف من سكانها، بل أخذ ثلاثين ألفاً، وحتى هذا العدد أرى أنه مبالغ فيه بالنسبة لزمان ذلك الحدث.

ويذكر (فان فلوتن) أنه عندما ارتقى (عمر بن عبد العزيز) عرش الخلافة شكا إليه أهل سمرقند تلك الحالة الجائرة، فأمر أحد قضاته بالنظر في هذه المسألة، فقضى بينهم بحكم يكاد يخفي ما انطوى عليه من الخبث حتى على أشد الناس نزاهة، وذلك أن يتقابل الفريقان من العرب ومن أهل سمرقند تحت أسوار المدينة. وأن يؤخذوا بالقوة أو أن تعقد معهم محالفة جديدة. ومعنى ذلك أنه إذا انتصر العرب (وهو ما كان راجحاً). عاملوا أهل (سمرقند) معاملة من فُتحت بلادهم عنوة، اللهم إلا إذا فضلوا قبول ما عسى أن يفرض العرب عليهم من الشروط، ومن الجليّ أن حكم ذلك القاضي لم يغير تلك الحالة في شيء"(١٠٥).

ولو نظرنا إلى كلام (فان فلوتن) هذا، لرأيناه يحمل النقيضين، فمن ناحية يُعَبِّر عن النيّل والانتقاص من العرب وفكرهم الإسلامي، وهو رأي (فان فلوتن). وفي نفس الوقت يُعَبِّر عن العدالة، والنزاهة التي تُحلُ بها المشكلات الدولية بطرق مثلى يحتاجها مجتمع اليوم. فعمر بن عبد العزيز، لم ينتظر آراء، ولا اجتماعات ولا مناقشات حول هـذه المشكلة، بل كلف القاضي (جميع بن حاضر الباجي) بالتحقيق في الأمر وإنهاء المشكلة، وبالفعل أصدر القاضي بعد التحقيق أمره بإخراج المسلمين من سمرقند، لكن أهل سمرقند رضوا بالموقف وانتهت المشكلة، ولعلنا نستوضح الموقف أكثر من خلال ما أورده كل من البلاذري، وابن الأثير.

يقول (البلاذري) "غزا قتيبة أهل سمرقند، وكانت ملوك السغد تنزلها قديماً، ثـم نزلـت اشتيخى، فحصر قتيبة أهل سمرقند، والتقوا مراراً فاقتتلوا، وكتب ملك السـغد إلى ملك الشاش، فأتاه في خلق من مقاتلته، فلقيهم المسلمون فاقتتلوا أشد قـتال، ثم إن قتيبة أوقع بهم وكسرهم فصالحه (غوزك) على ألفي ألف ومأتي ألف درهـم في كل عام وعلى أن يصلي في المدينة، فدخلها وقد اتخذ لـه غوزك طعاماً فأكل وصلى واتخذ مسجداً وخلف بها جماعة من المسلمين فيهم الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير، ويقال: إنه صالح قتيبة على سبعمائة ألف درهم، وضيافة المسلمين ثلاثة أيام، وكان في صلحه بيوت الأصنام والنيران فأخرجت الأصنام فسلبت حليتها وأحرقـت، وكانـت الأعاجم تقول أن فيها أصناماً من استخف بها هلك فلما حرقها قتيبة بيده أسلم منهم خلق، فقال المختار بن كعب الجعفي في قتيبة:

دوخ السـغد بالقـبائل حـتى ترك السغد بالعراء قعودا(١٠٦)

ومن خلال تلك الكلمات لم نلمح غدراً من قتيبة بأهل سمرقند، بل حرب نزيهة بيـن الطرفين انتهت بانتصار قتيبة، وتم الصلح ودخل المدينة وصلى بها، ولم يطرد أهلها منها، وإلا فمن الذي صالحه.

ثـم يـورد (الـبلاذري) نقلاً عن (أبي عبيدة) أنه "لما استُخلف عمر بن عبد العزيـز وفد عليه قوم من أهل (سمرقند) فرفعوا إليه أن (قتيبة) دخل مدينتهم وأسكنها

المســلمين علـــى غدر فكتب عمر إلى عامله يأمره أن يُنصب لهم قاضيا ينظر فيما ذكــروا، فـــإن قضى بإخراج المسلمين أخرجوا، فنصب لهم جميعاً بن حاضر الباجي فحكـــم بإخراج المسلمين على أن ينابذوهم على سواء فكرة أهل مدينة سمرقند الحرب وأقروا المسلمين فأقاموا بين أظهرهم(١٠٧).

ويذكـــر (**ابـــن الأثير**) أن أهل (سمرقند) طلبوا من سليمان بن أبي السرى أن يأذن لهم بإرسال وفد إلى الخليفة (عمر بن الخطاب) لعرض مشكلتهم عليه، فأذن لهم، واســتقبلهم (عُمر)، وعلى أثر اللقاء كتب إلى (سليمان) "أن أهل (سمرقند) شكوا ظلماً وتحـــاملاً مـــن قتيـــبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم فإن قضى لهم فأخرج العرب إلى معسكرهم كما كانوا قبل أن يظهـــر علـــيهم قتيبة. فأجلس لهم سليمان (جميع بن حاضر) القاضي، فقضى أن يخـــرج عـــرب سمرقند إلى معسكرهم، وينابذهم على سواء فيكون صلحاً جديداً، أو ظفـــراً عنوة، فقـــال أهـــــل الصغد: بل نرضى بما كان ولا نحدث حرباً وتراضوا بذلك(١٠٨).

ويؤكد بن سلام: أن بلاد خراسان يقال إنها أو أكثرها فُتحت صلحاً على يدي عبد الله بن عامر بن كريز، وهذا في دهر عثمان، وأما ما وراء ذلك فإنها افتتحت بعد علـــى يـــدي ســـعيد بـــن عثمان بن عفان، والمهلب بن أبي صفرة، وقتيبة بن مسلم وغيرهم.

وفـــي موضع آخر يقول "ابن سلام" "إن الروم صالحت معاوية على أن يؤدي إلـــيهم مـــالاً، وارتهن معاوية منهم رهناً، فجعلهم ببعلبك، ثم إن الروم غدرت، فأبى معاويـــة والمســـلمون أن يســـتحلوا قـــتل من في أيديهم من رهنهم، وخلّوا سبيلهم، واستفتحوا بذلك عليهم، وقالوا: وفاءٌ بغدر خيرٌ من غدر بغدر"(١٠٩).

وعلـــى ذلك يتضح أن ما ذهب إليه (فان فلوتن) في كلامه على سمرقند بعيدُ عـــن الدقـــة التاريخية، وقريب من النيل والتحامل على بني أمية. فالسمة الغالبة هي الفتح صلحاً، وكانت الحرب هي الخيار الأخير.

ويواصل (فان فلوتن) نظرته التعصبية ضد العمال والفاتحين في عصر بني أمية فيقول "**فقد كان كل واحد منهم يجعل نصب عينيه مصلحته الشخصية قبل كل شيء، أما الإسلام والعمل على نشره فقد ظل أمراً ثانوياً، من ذلك أن يزيد بن المهلب لم يقنع بولاية بلاد العراق التي كانت لا تفي بحاجاته، وطمع في ولاية خراسان لما عساها أن تُدره عليه من الثروات الضخمة والأموال الكثيرة، وقد أنشد أحد الشعراء عند وفاة المهلب بن أبي صغرة قبلاً:**

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ومات الندى والجود بعد المهلب(١١٠)

ولا غرو فقد كان سخاء ذلك اليمني (المهلب) وبذخه عظيمين، حتى أنه على الرغم من تجريده من جميع ممتلكاته حين اعتزل الإمارة ظل مديناً لبيت المال بمليون درهم، دفع منها مائتي ألف ثمن ما باعه من مجوهرات ومنقولات زوجته. ثم سدد أحد موالي أسرته (وكان عاملاً في بيت المال) ثلاثمائة ألف دينار، وأما ما تبقى فقد أداه عنه عمه والي مدينة (اصطخر) إذ ذاك، وبلغ ما كان للحجاج قبل يزيد بن المهلب ستة ملايين من الدراهم لم يستوف (الحجاج) منها سوى ثلاثمائة ألف)(١١١).

وهكذا يزداد التناقض تأكيداً فيما يروي (فان فلوتن)، فهو يذكر أن العمال يجعلون نصب أعينهم المصلحة الشخصية قبل كل شيء، أما الإسلام وانتشاره فقد أصبح مبدءاً ثانوياً، وأن (يزيد) لم يقنع بما في يده من بلاد فأراد أن يأخذ (خراسان) لما تدره عليه من دخل. ونسي (فان فلوتن) أن خراسان كانت قاعدة مهمة للفتح الإسلامي، انطلقت منها جيوش الغزو شرقاً إلى الصين، والهند، وجنوب روسيا وغيرها حتى رفرفت راية الإسلام هناك، فلم تكن خراسان مطمعاً لكونها قاعدة لها نظام ثابت في إدارتها لأهميتها كمفتاح للشرق آنذاك. كما أن (المهلب) أو ابنه (يزيد) لو كانا كما ذكر لاكتنزا الأموال لأنفسهما، ولما كان المهلب يصرف بهذا البذخ الذي قيل فيه شعراً، ولما مات مديوناً يسدد عنه أقرباؤه، فأين المطامع الشخصية التي أعاقت الفتوح الإسلامية، وكانت رايات الإسلام تخفق في الصين وجنوب روسيا شرقاً، وفي أسبانيا وفرنسا غرباً.

ثم يعقد (فان فلوتن) مقارنة، بين ما امتاز به الخلفاء الراشدين من البساطة في العيش، وما طرأ من تغيير في عصر الأمويين، ثم يتراجع عن موقفه بعد ذلك قائلاً: لـــيس من العدل أن نتهم الأمويين وَحْدَهم بذلك، في الوقت الذي كان فيه أبناء هؤلاء الـــرجال الذين تم على أيديهم فتح القادسية واليرموك، متأثرين بنفس هذه النزعة التي تأثر بها آباؤهم الثملون بنشوة هذه الانتصارات التي أحرزوها بسيوفهم"(١١٢).

ثم يتندر بهذه الفتوح قائلاً: ولم يكن بدّ من أن يكون هناك ثمة أثر عكسي لتلك الفـــتوحات، وذلـــك مـــا حـــدث فعلاً، وإلى القارئ ما كتبه (المسعودي) عن النتائج المحتومة لذلك الفتح، تلك العبارة التي تعتبر فريدة في بابها، وقد ظهر أثر ذلك لأول مـــرة في عهد عثمان بن عفان، مما حدا بذلك المؤرخ النزيه أن يقول "ولم يكن مثل ذلـــك في عصر عمر بن الخطاب، بل كانت جادة واضحة، وطريقة بينة، فأين عمر عمن ذكرنا، وأين هو عما وصفنا"(١١٣).

فهل هناك تحامل أكثر من هذا، فقد مجدّ (المسعودي) ونزّهه على ما أورده، وبالبحـــث فيما كتبه (المسعودي) تبين خطأ (فان فلوتن)، فقد وردت هذه العبارة عند حديـــثه عن ثراء بعض الصحابة مثل: الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمـــن بـــن عوف، وآخرين، ولم يذكر ذلك عن الفتوح، فهو إذن خلط للأحداث، فضلاً عن أن كلام (المسعودي) انتهى عند كلمة "وطريقة بيّنة)(١١٤) فمن أين أتى (فان فلوتـــن) بالجملـــة الأخـــيرة، فهـــو مما لا شك فيه بُعد عن النزاهة والصدق، وخلط للأوراق.

كما كان (فان فلوتن)، يُقحم النصوص في غير موضعها، فهو كما ذكرنا آنفاً أقحـــم نصـــاً أيـــــام الخلـــيفة (عـــثمان) ليس في موضعه، والآن وهو يتحدث عن (سجســـتان)(١١٥) يقـــول: وقد قال (رُتبيل) أمير سجستان يوماً لأصحابه "ما فعل قوم كانوا يأتون خماص البطون (جياع) سود الوجوه من الصلاة، نعالهم خوص؟ فقد كانوا أوفى منكم عهداً وأشد بأساً، وإن كنتم أحسن وجوهاً"(١١٦).

ولــو سألنا (فان فلوتن) متى قال "رُتبيل" هذه العبارة لأجاب (البلاذري): أنه نطق بها في مرحلة ضعف الدولة الأموية، وكأن (فان فلوتن) لاهم لـــه إلا البحث عن السلبيات فقط، وقد نسي دور كل من (عبد الرحمن بن سمر بن حبيب بن عبد شمس، والربـــيع بـــن زياد الحارثي، وعبد الله بن أبي بكرة – وقد صالح رتبيل – وعاد بن زياد) في فتح (سجستان)، وكانت جهودهم أيام "معاوية بن أبي سفيان". وفي أيام "يزيد بـــن معاويـــة" كان هناك دور "لسلم بن زياد"، و "يزيد بن زياد"، و"طلحة بن عبد الله الخزاعـــي"، و"عـــبد العزيـــز بن عبد الله بن عامر"، وما إن أتى عهد "عبد الملك بن مـــروان" حتى كان لعبد الله بن أمية دور إذ غزا رُتبيل الملك وهو بالقطع غير رُتبيل السالف الذكر، ودخل المدينة، فأخذت عليه طرقها وشعابها، فعزله عندئذ (عبد الملك) عـــن ولايـــتها، وولاها "عبد الله بن أبي بكرة"، فصالحه "رُتبيل"، كما صالح "رُتبيل" "الحجـــاج بن يوسف الثقفي" أيضاً على عدم غزو بلاده سبع سنين في مقابل أن يدفع كـــل سنة تسعمائة ألف درهم. وبعد نهاية المدة ولى الحجاج "الأشهب بن بشر الكلبي" على (سجستان) فعاسر "رُتبيل" في العرض فعزله الحجاج(١١٧).

ولما وُلِيَ "قتيبة بن مسلم" خراسان ولى أخاه "عمرو" سجستان"، فطلب الصلح مـــع "رُتبـــيل"، دراهم معدودة، ثم حدث خلاف بينهما، فأرسل إلى أخيه طالباً نجدته فتحرك "قتيبة" تجاه سجستان، فأرسل إليه " رُتبيل": إنا لم نخلع يداً من الطاعة، وإنما فارقـــتمونا على عروض فلا تظلمونا، فقال "قتيبة" للجند اقبلوا منه العرض، **وفي أيام ســـليمان بن عبد الملك" تولى سجستان "مدرك بن المهلب" فامتنع رتبيل عن العطاء ثـــم تولاهـــا معاويـــة بـــن يـــزيد فأعطـــاه، وفي عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١– ١٠٥هـــــ/ ٧١٩– ٧٢٣م) امتنع رتبيل عن إعطاء عماله شيئاً(١١٨)، ثم قال العبارة السالفة الذكر.**

إذن قالهـــا رُتبيل وقت أن تسرب الضعف إلى جسد الدولة الأموية، وبعد أن كانت مشغولة في أمور كثيرة خارجياً وداخلياً. ثم إن (فان فلوتن) لم يحدد في كلامه أي "رتبيل" يقصد هل السابق أم رتبيل الملك، ولعل "البلاذري" الذي نقل عنه عبارته

دون وضـــعها في مكانها الصحيح، كان أوضح وأوثق، ومتدرجاً بالأحداث حتى يقنع القارئ، لكن "فان فلوتن" كان له مآرب أخرى.

ثـــم يواصـــل "فـــان فلوتن" تحامله ويقول: "**كان الأمويون يختارون عمالهم وولاتهـــم من بين أولئك الممهدين في النعمة والترف، والذين تعودوا الاستمتاع بما فـــي الحياة من عبث ولهو دون أن يذوقوا عناء العمل ومشقته، لذلك لا ندهش إذا كانت الروح التي سادت في عهد بني أمية روحاً غير دينية، ولن تعوزنا الأدلة على صحة ما نقول، فقد كان في الحملات التي جردوها والغارات التي شنوها على الكفار أكبر شاهد على صحة ما ذهبنا إليه**"(١١٩).

ونقـــول "لفـــان فلوتـــن" كيف لم يذق العمال عناء العمل ومشقته في العصر الأُموي، وهم الذين امتدت فتوحات الدولة على أيديهم حتى وصلت إلى أقصى اتساع لها، وما دليلك على أن الروح التي سادت عصر بني أمية كانت غير دينية، وإذا كان ذلك كذلك فلم تحمل المسلمون مشقة الجهاد شرقاً وغرباً مع تبدي وسائل المواصلات، وآلات الحرب، ألم يكن ذلك إلا لوازع ديني، وإعلاء كلمة الحق، وتنفيذاً لأمر الله عز وجل.

ويبدو أن "فان فلوتن" تأثر بما أورده اليعقوبي، والمسعودي، بشأن أحد خلفاء بنـــي أمـــية وهـــو "الوليد بن يزيد بن عبد الملك" إذ قال اليعقوبي: "**كان صاحب ملاه وقـــيان، وإظهار للقتل والجور وتشاغل عن أمور الناس، وشرب ومجون، فبلغ من مجونه أنه أراد أن يبني على الكعبة بيتاً يجلس فيه للهو، ووجه مهندساً لذلك**"(١٢٠).

ونقول "لليعقوبي" هل يمكن أن يحدث هذا؟ هل يدنس أحد خلفاء بني أمية بيت الله الحـــرام الذي تهوي إليه القلوب والأفئدة من كل صوب وحدب؟ هل يُعقل أن يقدم "الولـــيد بن يزيد" على اقتراف هذا الذنب وهو يعلم مغبة ذلك دينياً ودنيويا؟. اعتقد أن النص يحتاج إلى مراجعة لانطوائه على غرض مدسوس.

ثـم يقـول المسعودي: "كان الوليد يُدعى خليع بني مروان، وقد قرأ ذات يوم قولـه تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ. مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ﴾ فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشاب، وأقبل يرميه وهو يقول:

أتوعـد كـل جـبار عنـيد ... فهـا أنـا ذاك جـبار عنـيد

إذا مـا جئـت ربـك يوم حشر ... فقـل يـا رب خرَّقني الوليد[١٢١]

ونقـول هـل يعقـل أن يقول "الوليد" هذا القول ويفعل هذا الفعل وهو خليفة المسلمين، إن كان ذلك كذلك فهو قد جُن، وكيف يلي أمر المسلمين من هو فاقد لعقله، وكيف يعقل أن يورد "المسعودي" هذا القول وذلك الفعل دون أن يكون لـه موقف أو يعضد روايته بالتواتر. إننا نشك أن يحدث هذا العمل تجاه كتاب الله عز وجل، وتجاه الكعبة المشرفة، وخاصة من مسلم، وفوق ذلك فهو خليفة المسلمين.

ويتمادى "فان فلوتن" في موقفه من بني أمية، فيذكر أن **الخراج في عهدهم كـان أسـوأ مـن العصـر الراشدي، إذ لم يكن لزاما في نظرهم، ولا في نظر ولاة الأقالـيم، أن يـراعوا القواعد التي قررها أسلافهم، وقد كتب معاوية إلى (وردان) والـيه على مصر "أن زد على كل امرئ من القبط قيراطاً، فكتب إليه (وردان) كيف أزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يُزاد عليهم"[١٢٢].**

وقـد أورد هـذا الـنص كـل من (ابن سلام[١٢٣]، وابن عبد الحكم[١٢٤]، والـبلاذري[١٢٥]). إلا أن (فان فلوتن) نقل النص دون إخضاعه للنقد، فابن سلام يرى أن مصـر فتحـت عنوة، لذلك استجاز (معاوية) الزيادة، بينما كانت مصر في نظر "وردان" مولى عمرو بن العاص" قد فُتحت صلحاً، فكره الزيادة وحدث عند ذلك خلافاً بينهما. فيجب عدم أخذ الكلام على علاته دون تمحيص.

ثم يتهم (فان فلوتن) الجباة بالقسوة في جمع الضرائب فيقول: "**ولم يكن الحال بـبلاد اليمـن خـير من ذلك، فقد ارتكب فيها أحدا أخوة الحجاج أشد أنواع الجور والعسـف، فكان يصادر أملاك الأهالي وأموالهم، كما أثار حنقهم وسخطهم بفرضه عليهم ضريبه معينة(وظيفية) وذلك عدا العُشر[١٢٦] الذي قرره الإسلام، وإن حدوث**

هذا في ولاية عربية محضة لــه معناه، فهو يبين لنا أن الحالة كانت أسوأ من ذلك بكثير في البلاد التي فتحها العرب(١٢٧).

وهكــذا يصــر (فان فلوتن) على رؤية الكل في ضوء الجزء، وليس العكس، فيعتــبر ما حدث في "اليمن" مثالا يطبق في باقي الولايات. وأعتقد أن هذا تعصب لا مــبرر لـــه، لأن جباة الخراج كان لابد أن يتسموا بالتقوى والصلاح وليس بالجور والعســف، ولعل القاضي (أبا يوسف) قد أوضح ذلك في حديثه لهارون الرشيد قائلاً لــه: "رأيــت أبقى الله أمير المؤمنين أن تتخذ قوماً من أهل الصلاح والدين والأمانة فتوليهم الخراج، ومن وليت منهم فليكن فقيهاً عالماً مشاوراً لأهل الرأي عفيفاً، لا يَطّلع الناس منه على عورة، ولا يخاف في الله لومة لائم"(١٢٨).

ويذكر (فان فلوتن) نقلاً عن أبي يوسف أن (الضحاك بن عبد الرحمن) والي بلاد الجزيرة في عهد عبد الملك بن مروان)، أمر بعمل إحصاء جديد للسكان عامة، وكلــف كــل شخص بسداد ما فرض عليه من الضريبة، ومعنى ذلك أن كل فرد كان ملــزماً بتوضــيح قيمة كسبه كل عام، فكان الوالي يترك لــه ثمن الغذاء والكسوة، وبعــض الــنفقات الضرورية ثم يستولي على ما بقى باسم بيت المال، فزادت بذلك قيمة جزية كل شخص ثلاثة دنانير عما كانت عليه من قبل(١٢٩).

فعلــى أي أساس قاس (فان فلوتن) الزيادة، فلم تكن بلاد الجزيرة ضمن نظام الضــرائب أيــام "عمر بن الخطاب" كما يفهم من نص أبي يوسف "فلم يبلغني أن هذا علــى صلح، ولا على أمر أثبته، ولا برواية عن الفقهاء، ولا بإسناد ثابت"(١٣٠). فبنى "فــون كريمــر" كلامــه على وهم، حتى الزيادة التي ذكرها ثلاثة دنانير أوردها أبو يوسف أربعة دنانير(١٣١).

وَيَــنَالُ (فــان فلوتن) من عمال العرب في العصر الأُموي فيقول: "**ولم يكن الرؤساء وحدهم الذي يثرون على حساب بيت المال، فقد كان هناك طائفة من صغار الموظفيــن لا هــم لهــم إلا الإثراء باختلاس أموال الدولة وسلبهم كل ما يصل إلى أيديهم، وكان من أثر تلك الصعوبات التي كانت تعترض الحكومة في سبيل استرداد**

تلـــك الأموال، أن فكر والي العراق (عبيد الله بن زياد) في استبدال أولئك العمال من العرب بغيرهم من الفرس[١٣٢].

وكأن (فان فلوتن) يفترض المصداقية في عمال الفرس فقط، مما يُعد نيلاً من العمـــال العـــرب فـــي العصر الأُموي، حتى قال بعد أن عهد (عبيد الله بن زياد) إلى الدهاقيـــن كـــبار ملاك (الأراضي) بجباية الخراج، ولا غرو فقد كان هؤلاء الدهاقين أبصر بالجباية وأوفى بالأمانة[١٣٣].

وبالطبع أخطأ (فان فلوتن) في هذا الحكم لأن هناك أسس يختار على منوالها من يلي الأمر في جباية الخراج حيث قال "أبو يوسف": يجب الاحتياط فيمن يولي شيئاً مـــن أمـــر الخراج والبحث عن مذاهبهم والسؤال عن طرائقهم، وأن لا يكون عسوفاً لأهل عمله، ولا محتقراً لهم، ولا مستخفاً بهم، ولكن يلبس لهم جلباباً من اللين يشوبه بطرف من الشدة والاستقصاء من غير أن يظلموا أو يحملوا ما لا يجب عليهم، واللين للمسلم، والغلظة على الفاجر، والعدل على أهل الذمة، وإنصاف المظلوم، والشدة على الظالم،والعفو عن الناس فإن ذلك يدعوهم إلى الطاعة[١٣٤].

ولقـــد تراجع (فان فلوتن) في حكمه السابق على الموظفين العرب، حيث قال: "علـــى أن بعـــض الموظفين (يقصد الدهاقين) قد استطاع جمع الثروات الضخمة، إذ كانوا يضعونها أمانة عند أصدقائهم أو ذي قرباهم"[١٣٥].

وعن طريق جمع الخراج ينقل عن "Karabaceck, das Arabische" قائلاً:

"كانـــت الطريقة التي تجبى بها هذه الأموال مخجله على ما ذكره الفقهاء، ففي اليوم المحـــدد لجباية تلك الأموال كان يذهب المطالبون بها إلى ديوان الخراج حيث يجلس عـــامل الخـــراج على أريكة عالية، ثم يتقدم إليه هؤلاء أذلاء خاضعين، فيمد الواحد مـــنهم يـــده، ثـــم يصفعه بعض الحاضرين صفعة يشيعه بها إلى الباب، وكان عامة الشـــعب يحضـــرون تلك المناظر التي كانوا يعتبرونها رمزاً لانتصار المسلمين على الكفار"[١٣٦].

وبالطـــبع هـــذا كلام مدسوس على فقهاء المسلمين أخطأ فيه صاحب الكتاب، وكذلــك "فــان فلوتــن" وحــتى لو وُجد أحد الفقهاء الذي قال بذلك فلم يكن هذا دليلاً لتعمــيمه، ولا حُجة للحكم على سلوك شعب بهذه الصورة، وقد رد "أبو يوسف" على هذه الاتهامات قائلاً في كلامه لهارون الرشيد: "**ينبغي يا أمير المؤمنين أن تتقدم في الــرفق بأهل ذمة نبيك -ﷺ- والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفــوا فــوق طاقــتهم، ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق عليهم، فقد روى عن رســول الله ﷺ أنه قال: "من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه"**(١٣٧). وإن كــان هــذا مــع أهــل الذمــة فأولى أن يكون من الرعية لأن هذا من سمات الدولة الإسلامية.

وأخــيراً وليس آخراً يذكر "فان فلوتن" أثر سياسة (عمر بن عبد العزيز) في إنقــاص موارد بيت المال عندما أسقط الجزية فيقول: "كان عُمر بن عبد العزيز أول مــن أمــر من خلفاء بني أمية "الجراح" عامله على بلاد خراسان أن يضع عمن أسلم الجــزية التي كان يدفعها الكفار، ومن السهل جداً أن نتنبأ بنتائج تلك السياسة الجديدة التــي كان من أثرها ازدياد اعتناق الناس للإسلام، بينما نقص إيراد بيت المال نقصاً محسوســاً، وقــد اشــترط بعض الولاة لتخاشي ذلك الخطر الختان، وحفظ شيء من القــرآن، علــى أن ذلك لم يجد نفعاً، ومن ثم كان لزاماً العَوْدُ إلى فرض الجزية كما كانت من قبل(١٣٨).

والجديــر بالذكــر أن "عمر بن عبد العزيز" كان مثالاً للتقوى والورع، سمع وصــية أبيه التي قال فيها: "**أحْسِنْ تدبير مالك فإنه لا مال لمن لا تدبير لــه، وارفق بمــن تعاملــه فإنه لا عيش لمن لا رفق لــه... فتكونت شخصية عمر على الزهد والتقوى والورع والعمل على نشر الإسلام، فأرسل إلى واليه على خراسان "الجراح بــن عــبد الله الحكمي" طالباً وضع الجزية عمن أسلم، وفرض لمن أسلم نصيبه في العطــاء، فأسلم على أثر ذلك عدد كبير من أهل تلك البلاد، وتلك مساواة في المغارم**

والمغانم بين العرب وغيرهم، وهي نوع من المطابقة بين الأحوال النظرية والنظـــام العملي، والتي سهلت للإســـلام طريقه إلى قلوب سكان تلك البلاد[١٣٩].

وإنـــنا في هذا السياق نخالف كلاً من "فان فلوتن" و "فون كريمر" فيما روياه عن سياسة "عمر بن عبد العزيز" المالية. فلم يتناقص المال في خراسان كما ذهبا إليه، إذ وفد عليه "الجراح" بمبلغ عشرين ألف أو عشرة آلاف، كما ذكر (الطبري) أن "عقبة بـــن زرعـــة الطائي" الذي تولى الخراج بعد القشيري حينما طلب منه عُمر بن عبد العزيـــز" أن يستوعب الخراج، ويحرزه في غير ظلم، فقال عقبة بن زرعة إن خراج خراســـان يفضل عن الأعطيات، أي أنه في زيادة فكتب عمر إليه أن قسم الفضل في أهل الحاجة[١٤٠].

وهذا دليل قوي على خطأ "فان فلوتن" وتعصبه، ودليل أيضاً على أن الأحوال المالـــية لم تفسد في زمن الخليفة "عمر بن عبد العزيز" ومن الطبيعي أن حالة الحرب دائماً تؤدي إلى العَوَز، أما نشر الإسلام بالروح السلمية لا تكلف الكثير، لذلك نجد أن سياســـة "عمـــر بن عبد العزيز" في نشر الدين قد أثمرت تماماً بدليل أن العدول عنها سيؤدي إلى بعض الاضطرابات.

حواشي البحث

أولاً: حواشي المدخل:

١- **اليعقوبي: ت ٢٨٢هـ (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي)**: تاريخ اليعقوبي، دار صادر - بيروت، ١/ ٢٤١.

٢- نفسه ١/ ٢٤١- ٢٤٢.

حلف الأحابيش.

لما توفي قصي بن كلاب خلفه ولده عبد مناف، فجاءته خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة يسألونه الحلف ليعزّوا به، فعقد بينهم الحلف الذي يقال لـه حلـف الأحابيش، وكان مدّبر بني كنانة الذي سأل عبد مناف عقد الحلف عمـرو بـن هلل بن معيص بن عامر، وكان تحالف الأحابيش على الركن، فـيقوم رجـل من قريش، وآخر من الأحابيش، فيحلفان بالله، وحرمة البيت، والمقـام، والركن، والشهر الحرام على النصر على الخلق جميعاً، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وعلى التعاون، والتعاقد على كل من كادهم من الناس جميعاً، وسمي ذلك حلف الأحابيش..(**اليعقوبي** : نفسه ١/ ٢٤١).

٣- نفسه ١/ ٢٤٢.

٤- **الطـبري: ت ٣١٠هـــ (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري)**: "تاريخ الأمم والملـوك" تحقـيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان، ٢/ ٢٥١.

٥- نفسه.

٦- نفسه ٢/ ٢٥٢.

٧- **ابن الأثير: ت ٦٣٠هـ (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عـبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني)**: "الكامل في التاريخ" تحقيق: أبي الفدا عـبد الله القاضـي، دار الكتـب العلمـية، بـيروت، لبنان، **الطبعة الثانية**، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ١/ ٥٤٤، ٥٥٣.

٨- نفسه.

٩- نفسه ١/ ٥٤٤.

١٠- **ابن كثير: ت ٧٧٤هـ (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير): (البداية والنهاية)** تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ٢/ ٢٥٨.

١١- **اليعقوبي:** المصدر السابق ١/ ٢٤٢- ٢٤٣.

١٢- **الطبري:** المصدر السابق ٢/ ٢٥٢.

١٣- نفسه ٢/ ٢٥٣.

١٤- نفسه.

ابن الأثير: المصدر السابق ١/ ٥٥٤.

١٥- نفسه.

١٦- **الطبري:** المصدر السابق ٢/ ٢٥٣- ٣٥٤.

١٧- **محمـــد رشـــاد خليل (دكتور):** المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره، الرياض، ١٤٠١هـ، صـ ٢١.

ثانياً: حواشي المحور الأول:

١٨- **حســين مؤنـــس (دكتور):** "تنقية أصول التاريخ الإسلامي"، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٥م، صـ ٥٣.

١٩- نفسه صـ ٥٤.

٢٠- **محمد رشاد خليل:** المرجع السابق صـ ٢٠- ٢١.

٢١- **الطبري:** المصدر السابق ٢/ ٣٣١.

محمد رشاد خليل: المرجع السابق صـ ٢١.

٢٢- **محمد ضياء الدين الريس (دكتور):** عبد الملك بن مروان والدولة الأموية، ط٢، القاهرة ١٩٦٩م، صـ ٧٢- ٨٥.

٢٣- **الجاحظ: ت ٢٥٥هـ (أبو عثمان عمرو بن بحر): المكتبة الإسلامية،** رسائل الجاحظ، الجزء الأولى، "الرسالة الحادية عشرة (في النابتة)". www.al-eman.com/islamlib/viewchp.asp2005.

٢٤- نفسه.

٢٥- نفسه.

٢٦- **اليعقوبي:** المصدر السابق ٢/ ١٧٥.

٢٧- **ابن الأثير:** المصدر السابق ٣/ ٦٨.

٢٨- **ابن كثير:** المصدر السابق ٧/ ١٧٨.

٢٩- **الجاحظ:** المصدر السابق.

٣٠- **ابن كثير:** المصدر السابق ٨/ ١٦- ١٧.

٣١- **البخاري: ت ٢٥٦هـ (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري):** "صحيح البخاري"، القاهرة، بدون، ٢/ ١١٤.

٣٢- **ابن الأثير:** المصدر السابق ٣/ ٢٧١- ٢٧٢.

٣٣- نفسه ٣/ ٢٧٢.

٣٤- نفسه ٣/ ٢٧٤- ٢٧٥.

٣٥- نفسه ٣/ ٢٧٥.

٣٦- **الجاحظ:** المصدر السابق.

٣٧- نفسه.

٣٨- **ابن خلدون: ت ٨٠٨هـ (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون):** مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٩م، ج٢، ص ٦١٣.

٣٩- **الجاحظ:** المصدر-نفسه.

٤٠- نفسه.

٤١- نفسه.

٤٢- نفسه.

٤٣- **ابن الأثير**: المصدر السابق ٣/ ٣٦٨- ٣٦٩.

٤٤- نفسه ٣/ ٤٣٦- ٤٤٠.

٤٥- **الجاحظ**: المصدر السابق.

٤٦- نفسه.

٤٧- نفسه.

٤٨- نفسه.

٤٩- **حسين مؤنس**: المرجع السابق صـــ ٩٥- ٩٦.

٥٠- نفسه صـــ ٥٣- ٥٤.

٥١- **البلاذري: ت ٢٧٩هــــ (أحمد بن يحيي بن جابر)**: "فتوح البلدان"، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـــ/ ١٩٩١م، صــ ٤٥٢.

إبراهيم القاسم رحاحلة: (دكتور): "النقود ودور الضرب في الإسلام في القرنين الأولين ١٣٢- ٣٦٥هـــ/ ٧٤٩- ٩٧٥م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م، صـــ ٢٩.

٥٢- **ابن سلام: ت ٢٢٤هـــ (أبو القاسم بن سلام)**: "كتاب الأموال"، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الفكر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـــ/ ١٩٧٥م، ٢/ ٦٣١.

عبد الرحمن فهمي محمد: "فجر السكّة الإسلامية"، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م، صـــ ٢٩.

إبراهيم القاسم رحاحلة: المرجع السابق صـــ ٢٩.

٥٣- **البلاذري**: المصدر السابق صـــ ٤٥٢.

عبد الرحمن فهمي محمد: المرجع السابق صـــ ٢٩.

إبراهيم القاسم رحاحلة: المرجع السابق صـــ ٣٠.

٥٤- **البلاذري**: المصدر السابق والصفحة.

الكرملـــي (الأب انســتاس): "تاريخ النقود العربية والإسلامية وعلم النميات" مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٨٧م، ط١، صـــ ٣٧- ٣٨.

إبراهيم القاسم رحاحلة: المرجع السابق صـــ ٣١.

٥٥- **الكرملي:** المرجع السابق صـــ ٣٩.

قسوس وطراونة: "منشورات البنك العربي، عمان، ١٩٩١م، صـــ ٤٧.

إبراهيم القاسم رحاحلة: المرجع السابق صـــ ٣٣.

٥٦- **قسوس وطراونة:** المرجع السابق صـــ ٦١.

إبراهيم القاسم رحاحلة: المرجع السابق صـــ ٣٤.

٥٧- **البلاذري:** المصدر السابق والصفحة.

ابن خلدون: المصدر السابق ٢/ ٧٠١.

الكرملي: المرجع السابق صـــ ٤٠.

قسوس وطراونة: المرجع السابق صـــ ٦٥.

إبراهيم القاسم رحاحلة: المرجع السابق صـــ ٣٥.

٥٨- **البلاذري:** المصدر السابق صـــ ٤٥٤.

ابن خلدون: المصدر السابق ٢/ ٧٠١.

قسوس وطراونة: المرجع السابق صـــ ٤١.

إبراهيم القاسم رحاحلة: المرجع السابق صـــ ٣٦.

٥٩- **البلاذري:** المصدر السابق صـــ ٤٥٥.

٦٠- **البلاذري:** نفسه صـــ ٤٥٣.

قسوس وطراونة: المرجع السابق صـــ ٦٤- ٦٥.

إبراهيم القاسم رحاحلة: المرجع السابق صـــ ٣٧.

٦١- **البلاذري:** المصدر السابق صـــ ٤٥٣.

ابن الأثير: المصدر السابق ٤/ ١٦٧.

ابن خلدون: المصدر السابق ٢/ ٧٠١.

إبراهيم القاسم رحاحلة: المرجع السابق صـــ ٣٨- ٣٩.

٦٢- **البلاذري**: المصدر السابق ٤/ ١٦٧.

قسوس وطراونة: المرجع السابق صـــ ٥٢- ٥٣.

إبراهيم القاسم رحاحلة: المرجع السابق صـــ ٣٩- ٤٠.

٦٣- **البلاذري**: المصدر السابق صـــ ٤٥٣- ٤٥٤.

ابن الأثير: المصدر السابق ٢/ ١٦٧.

ابن خلدون: المصدر السابق ٢/ ٧٠١.

حـــتى (فيليب) (دكتور): موجز تاريخ الشرق الأدنى، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، صـــ ٢٦٤.

ووكر:

Catalague of the Arab- Byzentine post- Reform omlyad Coins, London 1956, p. 53- 55.

إبراهيم القاسم رحاحلة: المرجع السابق صـــ ٤٢- ٤٥.

٦٤- **قسوس وطراونة**: المرجع السابق صـــ ٦٠.

إبراهيم القاسم رحاحلة: المرجع السابق صـــ ٤٦.

٦٥- **متحف الفن الإسلامي** – القاهرة: لوحة ٩٩ رقم ٣٠٩٤.

قسوس وطراونة: المرجع السابق صـــ ٦١.

إبراهيم القاسم رحاحلة: المرجع السابق صـــ ٤٦- ٤٧.

٦٦- **البلاذري**: المصدر السابق صـــ ٤٥٤.

ابن الأثير: المصدر السابق ٤/ ١٦٧.

الكرملي: المرجع السابق صـــ ٥٠- ٥١.

عبد الرحمن فهمي: المرجع السابق صـــ ٤٥- ٥٠.

قسوس وطراونة: المرجع السابق صـــ ٦١.

إبراهيم القاسم رحاحلة: المرجع السابق صـــ ٤٧- ٤٨.

٦٧- **الجاحظ**: المصدر السابق.

٦٨- نفسه.

ثالثاً: حواشي المحور الثاني:

٦٩- **مــناهج المستشــرقين في الدراسات العربية والإسلامية**، المنظمة العربية للتربـــية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، تونس، ١٩٨٥م، ١/ ٣٤٨، ٣٥٣، ٣٥٤.

٧٠- **البرسية:**

فـــي اللغة الفارسية بارسيان ومفردها "بارسي"، ومعناها عباد النار، ويطلق اسم البرسين parsis الآن على الإيرانيين أتباع عقيدة زرادشت الذين رفضوا اعتناق الإسلام بعد الفتح العربي، وبقي بعضهم في إيران، وفرّ بعضهم منها، ووصـــلوا فـــي أواخـــر القرن الثامن الميلادي إلى الهند وأقاموا في منطقة ججـــرات ولا تزال لهم فيها طائفة حتى الآن تقدر بمائة ألف نسمة في ذلك الوقـــت عام ١٩٤٧م. هامش ١ صـــ ١٦٣ من كتاب "الحضارة الإسلامية" لفـــون كريمـــر، ترجمة مصطفى طه بدر، الجيزة ١٩٤٧م، منشورات دار الفكر العربي.

٧١- **المانوية:**

أصحاب ماني بن فاتك الذي ظهر في زمان سابوربن أردستير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وقد أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية. وكان يقول بنـــبوة المسيح عليه السلام، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام. وكان ماني يقـــول: بالـــنور والظلمة وأنهما أزليان. راجع: الشهرستاني: ت ٥٤٨هـــ/ ١١٥٣م (أبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني)، **(الملل والنحل)**، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون، صـــ ٢٤٥.

٧٢- **فـــون كريمر**: الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية، مقدمة المعرب صـــ ٣.

٧٣- **فون كريمر**: نفسه، مقدمة خدابخش صــ ٢٨.

٧٤- نفسه صــ ٣٠- ٣١.

٧٥- **ابن الأثير**: المصدر السابق ٢/ ١٩٤- ١٩٥.

٧٦- **ابن قتيبة: ت ٢٧٦هـ (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري)**: "الإمامة والسياسة"، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م، جـ١، صـ١٨٠- ١٨١.

٧٧- نفسه ١/ ١٧٩.

٧٨- **فون كريمر**: مقدمة خدابخش صــ ٣٧.

٧٩- **فون كريمر**: نفسه صــ ٦٤.

٨٠- نفسه صــ ٦٥.

٨١- نفسه صــ ٧٤.

٨٢- **القاضـــي أبو سيف: ت ١٨٢هـ (أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم)**: "كتاب الخراج"، دار المعرفة، بيروت، لبنان، صــ ١١٦.

٨٣- نفسه صــ ١٢٣- ١٢٤.

٨٤- نفسه صــ ١٠٧، ١٢٣- ١٢٤.

٨٥- **فون كريمر**: المرجع السابق صــ ٧٥.

٨٦- نفسه صــ ٩٤.

٨٧- نفسه صــ ٩٥.

٨٨- **الإسرائيليات**: Croyances Messianiques

نســبة إلـــى Messie وهـــي مشـــتقة مـــن اللاتينية Messias والسريانية Meshina بمعنى ممسوح، ومن العبرية Mesha بمعنى المسح، والمراد به المســـح بالزيت المقدس. وهو رمز لتتويج الملوك عند الإسرائيليين. ومعنى هـــذه الكلمة المحرر أو المخلّص الذي بشر به الأنبياء بني إسرائيل. والذي عبده المسيحيون وألقوا إليه بالمودة في شخص المسيح عليه السلام.

راجـــع "فـــان فلوتـــن" (السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمـــية)، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، ومحمد زكي إبراهيم، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٣٤م، صـــ ١٠٧.

٨٩- نفسه صـــ ٥.

٩٠- نفسه صـــ ١٥.

٩١- نفسه صـــ ١٩.

٩٢- نفسه صـــ ٢٠.

٩٣- نفسه صـــ ٣٠.

٩٤- نفسه صـــ ٢١.

٩٥- نفسه صـــ ٢٢.

٩٦- نفسه.

٩٧- **طبرستان:**

الطبرُ: كلمة فارسية وهو ما يشقق به الأحطاب.

واستان: الموضع أو الناحية "أي ناحية تقطيع الأحطاب.

وهـــي بلـــدان واسعة تشمل: دهستان، وجرجان، واستراباذ، وآمل (قصبتها) وسارية، وتعرف طبرستان باسم مازندران، وهي مجاورة لجيلان، وديلمان.

راجع ياقوت الحموي: ت ٦٢٦هـــ (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٧٩هـــ/ ١٩٧٧م، جـــ٤، صـــ ١٣، مادة: طبرستان.

٩٨- **طخارستان:**

بفتح أولـــه، وهي ولاية واسعة من نواحي خراسان، وهي طخارستان العليا، والســـفلى، فالعليا: شرقي بلخ وأقرب إلى جيحون من السفلى التي تقع شرق بلخ أيضاً.

ياقوت الحموي: المصدر السابق، مادة: طخارستان، ٤/ ٢٣.

٩٩- **بلاد ما وراء النهر:** Transoxania تمثل بلاد ما وراء النهر التي تقع بين نهري جيحون Oxus، وسيحون Taxartes أهمية بالغة لدراسي التاريخ الإسلامي، وهي تكون جزءاً كبيراً من بلاد التركستان، والنهر هو جيحون. وأهم ما تضمه من بلدان: إقليم السغد، وإقليم أشروسنة، وإقليم فرغانة، وإقليم الشاش، وإقليم الختل. وكل إقليم من هذه الأقاليم يضم العديد من البلدان، وأبرز هذه البلدان: بخارى، وسمرقند، وكس، ونسف، وكرمينية، وراميثنة، ونومشكت، وفرياب، وفرغانة وغيرها. ويعد "قتيبة بن مسلم الباهلي" أبرز الفاتحين لهذه البلاد.

راجع: أحمد تونى عبد اللطيف (الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر وانتشار الإسلام هناك) بحث منشور ضمن أبحاث المؤتمر الدولي (المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز الماضي والحاضر والمستقبل)، جامعة الأزهر، مركز صالح عبد الله كامل، جـ١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، صـ ٤٩- ٥٠.

KNOBBLOCH, EDGAR, Beyond the Oxus, London, 1971, p. 179

Gibb. H.A.R. the Arab conquests in Central Asia. London, 1923, p. 5.

١٠٠- **فان فلوتن:** المرجع السابق صـ ٢٣.

١٠١- **البلاذري:** المصدر السابق صـ ٣٣٠- ٣٣٣.

١٠٢- **فان فلوتن:** المرجع السابق صـ ٢٣.

١٠٣- نفسه.

١٠٤- **النرشخي: ٢٨٦- ٣٤٨هـ/ ٨٩٩- ٩٥٩م (أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي):** عربه وقدم له وحققه د/ أمين عبد المجيد بدوي، نصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، صـ٦٩.

١٠٥- **فان فلوتن: المرجع السابق** صـ ٢٤.

١٠٦- **البلاذري:** المصدر السابق صـ ٤١٠- ٤١١.

١٠٧- نفسه صـ ٤١١.

١٠٨- **الطبري**: المصدر السابق ٦/ ٥٦٨.

ابن الأثير: المصدر السابق ٤/ ٣٢٧.

١٠٩- **ابن سلام**: المصدر السابق ١/ ١٣٢، ٢١١.

١١٠- **فان فلوتن**: المرجع السابق صـ ٢٤.

١١١- نفسه صـ ٢٤- ٢٥.

١١٢- نفسه صـ ٢٥.

١١٣- نفسه.

١١٤- **المسعودي: ت ٣٤٦هـ/ ١٩٥٦ (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي)**: "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩م، ٢/ ٣٤٠.

١١٥- **سجستان**:

بكسر أوله وثانيه، ناحية كبيرة وولاية واسعة، أهم مدنها (زرنج)، بينها وبين هراة عشرة أيام (ثمانون فرسخاً) وتقع جنوبي هراة، وأرضها كلها رملة سبخة، والرياح فيها لا تسكن أبداً، ولا تزال شديدة تدير رحيّهم، وطحنهم كله على تلك الرحى. (**ياقوت الحموي**، المصدر السابق ٣/ ١٩٠، مادة سجستان.

١١٦- **البلاذري**: المصدر السابق صـ ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٢.

فان فلوتن: المرجع السابق صـ ٢٥.

١١٧- **البلاذري**: المصدر السابق صـ ٣٩٠ – ٣٩١.

١١٨- نفسه صـ ٣٩١- ٣٩٢.

١١٩- **فان فلوتن**: المرجع السابق صـ ٢٥- ٢٦.

١٢٠- **اليعقوبي**: المصدر السابق ٢/ ٣٣٣.

١٢١- **المسعودي**: المصدر السابق ٣/ ٢٠٤.

١٢٢- **فان فلوتن**: المرجع السابق صـ ٢٧.

١٢٣- **ابن سلام**: المصدر السابق ١/ ١٩١.

١٢٤- **ابن عبد الحكم: ت ٢٥٧هـ/ ٨٧١م (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري)**: "فتوح مصر وأخبارها" تحقيق: محمد الحجيري، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، صـ ١٧٢.

١٢٥- **البلاذري**: المصدر السابق صـ ٢١٩.

١٢٦- **العُشر:**

ذكر "أبو سيف" أن أبا موسى الأشعري كتب إلى الخليفة عُمر بن الخطاب "أن تجاراً من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر" فكتب إليه "عُمر" "خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين، وخذ من أهل الذمة نصف العشر، ومن المسلمين من كل أربعين درهماً درهماً، وليس فيما دون المائتين شيء، فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم، وما زاد فبحسابه".

راجع: "كتاب الخراج" لأبي يوسف صـ ١٣٥.

١٢٧- **فان فلوتن**: المرجع السابق صـ ٢٨.

١٢٨- **القاضي أبو يوسف**: المصدر السابق صـ ١٠٦.

١٢٩- **فان فلوتن**: المصدر السابق صـ ٢٩.

١٣٠- **القاضي أبو سيف**: المصدر السابق صـ ٤١.

١٣١- نفسه.

١٣٢- **فان فلوتن**: المرجع السابق صـ ٣١.

١٣٣- نفسه.

١٣٤- **القاضي أبو سيف**: المصدر السابق صـ ١٠٧.

١٣٥- **فان فلوتن**: المرجع السابق صـ ٣١.

١٣٦- نفسه صـ ٣٣- ٣٤.

١٣٧- **القاضي أبو سيف**: المصدر السابق صـــ ١٢٤- ١٢٥.

١٣٨- **فان فلوتن**: المرجع السابق صــ ٥١.

١٣٩- **ابـــن مســـكويه: ت ٤٣١هـــ/ ١٠٣٩م (أبـــو علي أحمد بن محمد بن يعقـــوب)**: "آداب العـــرب والفرس" مخطوط تحت رقم ٤٤١٩، ومنه صورة بالميكروفـــيلم رقـــم ٣١١٩ وعدد أوراقها ١٨٤، دار الكتب المصرية، رمز أدب طلعت، ورقة ٧٣.

١٤٠- **الطبري**: المصدر السابق ٦/ ٥٦٠، ٥٦٨، ٥٦٩.